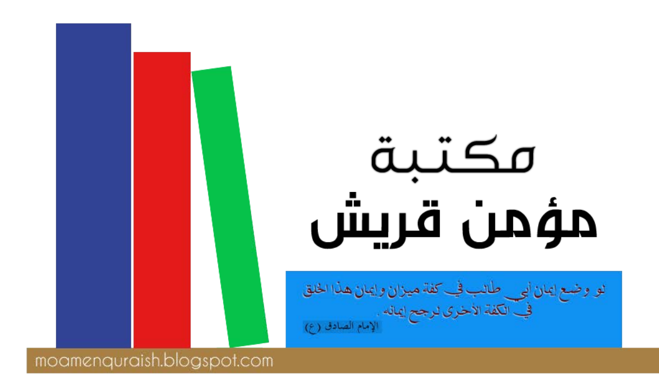
أحمد حسين

الحركة الإسلاميّة واليسار في البحرين

"لنصحّح مسيرة الحوار"

الصفا للنشر والتوزيع
- لندن -



الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الاهداء . .

الى أبناء الاسلام البررة ، في بلادي ، الذين سقطوا شهداء . . والى الذين يواصلون ، رغم أنف التحديات ، حمل الراية المباركة . .

أهدي هذا العمل المتواضع .

احمد

مقدمة

لقد بزغ فجر جديد على امتنا الاسلامية المقهورة ، وأخذت طلائع الجيش المحمدي الميمون تبث نورها ودفئها في كل اتجاه من مناطق عالمنا الاسلامي ، لتذيب وتزيل طبقات الجليد عن جسد ذلك العملاق الذي غط في سبات شتوي عميق وطويل أحزن القلب وأدمى الفؤاد ، وتمزق حجب الليل وأغشية الظلام عن تلك العيون التائهة والحائرة . وبدأت الحياة تدب من جديد في مفاصل ذلك العملاق الذي خُدّر وألف التخدير ، الى درجة سلم الجميع بها - من غربيين وشرقيين - انه لا يمكن ان يتوقع - فضلاً عن أن يرى - صحوة وتململاً ونهوضاً لذلك العملاق « الاليف » .

وزأر الجيش المحمدي الميمون بدوي عظيم في شرق الارض وغربها أذهل الجميع ، وجميعهم كانوا في « حالة انصات ووجوم » تهاوت على اثرها عروش ، وتساقطت مصالح ، وتبخرت مطامح ، بُذلت في سبيلها جهود مضنية ، وسنون مديدة ، ومؤمرات وجرائم عديدة .

وما كاد الجميع ان يملكوا نفسهم ، ويسكن روعهم ، ويثبت

لبهم ، حتى انكبوا جميعاً في عمل ونشاط دؤوب لمعرفة ما جرى ، وما يجري ، وما يمكن ان يجري . . وتوالت الدراسات والابحاث والمؤتمرات ، وتمخضت عن أفكار وخطط وتوصيات ومؤامرات ، ولكن دون جدوى . فالعملاق الفتي أصبح اكثر عافية وأشد صلابة ، واسرع خطى واعمق رسوخاً . .

وفي بلادنا ، البحرين ، كانت الحركة الاسلامية فيها من اوائل طلائع ذلك الجيش الاسلامي العقائدي المبارك ، نهوضاً وتقدماً وتجاوباً وتكاملاً مع سائر الطلائع والبعثات الرسالية الثورية . .

واستطاعت ، رغم الفترة الزمنية القصيرة نسبياً على نزولها ميدان الجهاد السياسي السافر ، أن تكون الرقم الأصعب في المواجهة السياسية والثورية ضد السلطة الاستبدادية العشائرية ؟ ورغم شراسة القمع ، وعنف الارهاب ، والهيمنة المطلقة للاستبداد الدموي ، والمصادرة الشاملة للحريات ، وتعميم السيطرة المطلقة لاجهزة الأمن والقمع البريطانية ـ الخليفية المأجورة على جميع مرافق المجتمع والدولة . .

ورغم التصعيد الخطير والمتزايد لهذه الحالة ، الحالة البوليسية والارهابية المخابراتية الشاملة ، الى درجة لم تشهد البلاد تصعيداً مثلها في أي فترة من فترات تاريخها الحديث والمعاصر . . ورغم سقوط العديد من ابناء الحركة الاسلامية المجاهدة ، شهداء في اقبية التعذيب الرهيبة واحداً تلو الأخر : من جميل العلي ، الى كريم حبشي ، الى الشيخ جمال الدين العصفور ، الى محمد مدن الى رضي مهدي زين الدين . . .

ورغم المئات من ابناء الاسلام علماءً وشباباً رسالياً ثورياً ، قد تعرضوا للسجن والتعذيب الوحشي لسنوات عديدة .. ومئات آخرين تعرضوا ، بعد ذلك ، بعد السجن والتعذيب واسقاط الجنسية ومصادرة الممتلكات الخاصة ، الى التهجير والقذف بهم خارج « أسوار »الوطن في وحشية بالغة .. ورغم الهجمات الشرسة الجاهلية على جميع المراكز الاسلامية الثقافية والاجتماعية وحتى العبادية ، وتحطيم مكوناتها ومصادرة محتوياتها ، والزج بعلمائها ورجالها الى ظلمة المعتقلات ..

ورغم توالي واستمرار حملات الاعتقالات الفردية والجماعية بشكل شبه يومي ، حتى طال سيف الارهاب كل بيت وكل زقاق ..

ورغم كل ذلك ، وفوق كل ذلك : فان الحركة الاسلامية المجاهدة تقف في ميدان المواجهة مع الاستبداد والطغيان والعمالة والسيطرة الاجنبية ، شامخة ، صلبة ، بمبدئية لا تتزعزع ، واستقامة لا تلين ، وعزيمة لا تخور ، وأمل لا يخبو ، واصرار على مواصلة الدرب للفوز باحدى الحسنيين ، بل بكلتا الحسنيين : النصر والشهادة ..

بذلك أثارت الحركة الاسلامية البحرانية جميع الاطراف في البلاد : السلطة العشائرية بعنجهيتها وطائفيتها وديكتاتوريتها السوداء ، والقوى الوطنية « بدهشتها ووجومها وارتباكها وتذبذباتها »الفكرية والسياسية والعملية ، في كيفية فهم هذا النهوض الاسلامي « المفاجىء »، وكيفية التعامل معها : بعضهم « يمتنع عن السير في دبر الحركة الدينية ، « ويتحفظ على المشاركة في اية مسيرات جماهيرية »بحجة أن الدينيين هم الداعون لها وأن الحركة الوطنية لن تكسب شيئاً وو ... الخ »، والبعض الآخر

« يذهب للمشاركة ببعض قواه »في تلك المسيرات الجماهيرية ، ثم ينكص على عقبيه ويقذف الحركة الاسلامية بأقبح التهم والاباطيل . « البعض »يكون حذراً في تناول قضايا الحركة الاسلامية وما يتعلق بها من مسائل فكرية وسياسية وغيرها ، « والبعض الآخر »يتخطى الحدود ، ويتجرأ على الاعراف ، بل ولا يقيم وزناً لمبادىء العمل الوطني العام ، فيطلق هجماته وسهامه سافرة وعلى مسمع من الملأ أجمع : فمؤسسات الحركة الاسلامية (كجمعية التوعية الاسلامية) عميلة وتحصل على تمويلها من السعودية ، وعلماء الدين عملاء يرتبطون بالنظام الرجعي بل وفوق ذلك مرتبطون بشاه ايران وملك السعودية ، فهم كما يصفهم هذا « البعض »الارستقراطية الدينية المتخمة التي تغني للعمالة » ، والجبهة الاسلامية « طائفية في برامجها وتعبئتها ومطالبها السياسية ، طائفية في كل شيء !!

وعندما نزلت الحركة الاسلامية لميدان المعترك السياسي ، كان واضحاً لديها ان نزولها هذا ، وبهذه القوة والفاعلية ، سيثير كل الاطراف . لذلك كان مقرراً لديها ، وسلفاً ، انها لن تخوض اية مهاترات كلامية ، ولن تنجر الى اية صراعات فكرية وسياسية ، مع أي فصيل معارض ، بل ستركز كل طاقاتها ونشاطاتها في مواجهة الطغيان والاستبداد الذي أطبق بأطنابه فوق كل البلاد . وبذلت محاولات عديدة ، ومن عدة أطراف ، لفتح جبهة حرب كلامية فارغة - بوعي أو بدون وعي - وتحت يافطات جميلة وبراقة وجذابة : الحوار الفكري ، والتفاعل الايديولوجي ، بل واحياناً تحت عناوين صارخة : الصراع الايديولوجي . . . الخ .

وكان رأينا واضحاً للغاية في هذا المجال : ان الحوار

الايديولوجي بين الاسلاميين وغير الاسلاميين من حركات المعارضة الاخرى ، ميدانه واسع جداً وحساس جداً ايضاً ، ولا بد للحوار المثمر من ان تتهيأ له كثير من الاسباب والشرائط منها : الموضوعية ، النزاهة في القصد ، الرغبة في الحقيقة ، الروح الايجابية وغيرها كثير . . الخ ، لا بد ان تتكرس قيم ومبادىء الحوار الديمقراطي ، لا بد ان تتكرس قيم الحرية الفكرية وسائر القيم الانسانية النبيلة بين أطراف المعارضة ، حتى نتوقع حصول حوار ايديولوجي مثمر .

ومن غير ان نوجه اتهامنا لأحد ، فانه للأسف ، لا توجد مثل تلك الحالة الانسانية الراقية . لذلك كان جل اهتمامنا منصباً على « القضايا العملية »للنضال الوطني . فرغم ان « نشرة ٥ مارس »مثلاً قد تطرقت ولمرات عديدة للحركة الاسلامية ، واتهمت فصائلها ورموزها ومؤسساتها ، بالطائفية والعمالة والخيانة . . إلا ان الحركة الاسلامية آثرت «الصمت الايجابي» ان صح التعبير ، وتوجهت للعمل الوطني الجاد في الساحة ، مترفعة فوق تلك الاتهامات والمهاترات . بل وسعت الى نصح تلك الجهات مباشرة بعدم تكرار ذلك ، وبعدم الخوض في هذا المستنقع .

إلا اننا فوجئنا باعادة طبع تلك الافكار والمقالات التي نشرت في « ٥ مارس » التابعة للجبهة الشعبية ، طيلة سنوات العقد المنصرم ، واخراجها من جديد في كتاب تحت عنوان : « مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية » ، واكدوا أن جميع تلك المقالات « قد أعيد قراءتها وتصحيح بعض الافكار فيها التي كتبت على عجل »، ومعنى ذلك ان جميع تلك

الاتهامات والاباطيل التي الصقوها بالحركة الاسلامية ، لم تكتب على عجل وانما هي تشكل« قناعة ثابتة » لدى تلك الجماعة .

وكثيراً ما كنا نواجه ، أسئلة واستفسارات ، من قبل اطراف وافراد وشخصيات ، من ساحتنا ومن خارجها ، حول تلك الاتهامات والاقاويل ، وكنا نوضح دائما رأينا السابق في مسألة« الحوار الفكري » الآن ، واننا نعتبره في المرتبة الاخيرة من اهتمامنا ، إذا كان بهذا الشكل وهذا المضمون وهذا المستوى .

إلا انه نتيجة للضغوط العديدة والمستمرة من قبل جميع تلك الاطراف ، ارتأينا أهمية المباشرة في الرد على تلك التهم ودفعها وايضاح موقفنا ، بل وابراز الحقيقة في كثير من هذه القضايا . ونؤكد من جديد ، أننا لسنا من هواة الصراعات الايديولوجية ، ولا نرفض الحوارات الفكرية الحضارية المثمرة ، لأنها برأينا ـ اي تلك الصراعات وبهذا الشكل والمستوى وفي هذه الظروف ـ سوف تؤدي الى مزيد من الانقسامات والصراعات السياسية ، في صفوف القوى المعارضة ، وبالتالي فهي ليست في مصلحة العمل الوطني العام .

لذلك جاء كتابنا هذا ، في استعراض ونقد ذلك الكتاب ؛« مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية » الذي هو عبارة عن اعادة تأكيد لمجمل أفكار « الجبهة الشعبية في البحرين »، حول الحركة الاسلامية طيلة سنوات العقد المنصرم .

واخيراً عزيزي القارىء ، فان الكتاب الذي بين يديك يقع في خمسة فصول :

الفصل الاول ، يتناول تأريخ الحركة الاسلامية المعاصرة ،

وفيه قسمان :

القسم الاول يتناول محاولة أصحاب الكتاب المذكور« مساهمة في الحوار . . . »، الامساك بالبداية التأريخية للحركة الاسلامية المعاصرة ، واستعراض تلك المحاولة بآرائها المتناقضة ومناقشتها ونقدها .

القسم الثاني ، ويتناول وجهة نظرنا في تاريخ الحركة الاسلامية المعاصرة في البحرين ، ويؤكد على ان الحركة الاسلامية ليست حركة سياسية صرفة وبالتالي يمكن تأريخ نشاطها فور بلاغها السياسي الاول ،وانما هي حركة حضارية ذات رسالة حضارية شاملة ، وبالتالي فهي ذات نشاطات متعددة ومتنوعة ، ولا يمكن بالتالي اغفال وتجاهل البدايات غير « السياسية » أو غير المباشرة .

الفصل الثاني ، يتناول مسألة الطائفية ، وفيها قسمان :

القسم الاول ، ونتناول فيه بالمناقشة والنقد جميع التهم والأقوال التي ابداها أصحاب الكتاب المذكور « مساهمة في الحوار . . . » حول قضية الطائقية ، وحول موقف وفهم الحركة الاسلامية لتلك القضية المتشابكة والحساسة .

القسم الثاني ، ونسجل فيه بعض الملاحظات الرئيسية لمزيد من التوضيح في مسألة الطائفية ، واكدنا فيه على ضرورة التميز الدقيق بين الحركة الطائفية المرفوضة ، وبين الحركة التي تنطلق من الطائفة ، لظروف معينة ، ولكنها تنطلق بروح ايجابية عامة وبرسالة عامة ولخدمة المصلحة الوطنية العامة .

الفصل الثالث ، وفيه وقفة تأمل ومناقشة لمجمل تصوراتهم

في ذلك الكتاب « مساهمة في الحوار . . . »، حيث انها تشكل « برنامجهم » المقترح ، لمواجهة خطر استخدام وتطويع قضية انقسام المجتمع الى طائفتين ، استخدام ذلك الواقع كسلاح لمواجهة قوى المعارضة السياسية والشعبية ، وحيث ان هذا الأمر ، البرنامج السليم لمواجهة ذلك « السلاح » السلطوي ، أمرا مهم وخطير فاننا وقفنا مع تصوراتهم نقطة نقطة ، وقدمنا ضمنها تصوراً أولياً لبرنامج بديل يمكن توسعته وإغناؤه مستقبلاً .

الفصل الرابع ، تابعنا فيه السير مع اتهاماتهم ومواقفهم من الحركة الاسلامية ، في كتابهم المذكور سابقاً ، وتوقفنا فيه مع آرائهم وتهمهم لعلماء الدين . واكدنا على ان المسألة المهمة في هذا الفصل ، ليست هي دفع التهم والاباطيل بحق علماء الدين ، وان كان ذلك مهماً بحدّ ذاته ، ولكن المسألة الأهم هي أن هذه الطريقة السائدة في اوساط اليسار ، تشكل برأينا ، انحرافاً فكرياً ونفسياً ومسلكياً لازالت آثاره وصداه يتردد بقوة في اوساط ذلك التيار ، وبالتالي لا بد من تعرية هذاالانحراف ودراسته وتصحيحه ، وهذا ما تكفل به هذا الفصل .

الفصل الخامس ، وفيه اعادة سرد قصة واقعية ، بمعلومات واقعية دقيقة ، ينشر أغلبها لأول مرة ، من مصادر عالية الثقة ، وهي قصة « جريمة اغتيال المدني »، التي اهتزت لها البلاد بأجمعها ، وكانت حينها كابوساً مرعباً عانى منه الكثيرون ، وتاه في معرفة الحق فيه آخرون . وعندما كانت « الجبهة الشعبية » هي المتهم الرئيسي في تلك الجريمة ، فقد انعكس ذلك في ادبياتها وكتاباتها وحاولت دوماً أن تثبت براءتها وفي كل المناسبات وبكل الطرق . وأثبتنا اننا مع براءتها ، لأن ذلك هو الحق ،

ولكننا أيضاً ندين ذلك « النهج اليساري الطفولي » وتلك « الطفولة اليسارية » السياسية التي أدت الى تلك الجريمة البشعة ، والتي لا زالت آثار تلك المرحلة « مرحلة الطفولة » سائدة بشكل أو بآخر في أوساط ذلك التنظيم ، وبالتالي كان اعادة سرد تلك القصة ـ الجريمة بوقائعها الدقيقة ، ليس لهدف ايضاح كثير من الحقائق التي لا زالت غامضة ، وانما كان الهدف الاساسي هو التأكيد على ان ذلك النهج الخاطىء « لا زال سائداً ، ولا بد من تعريته وتصحيحه ، لكي لا تتكرر الجريمة مرة اخرى . اخيراً خاتمة موجزة سجلنا فيها بعض الملاحظات السريعة والمتفرقة حول عنوان كتابهم والتقديم والاهداء الذي بداخله ، وبذلك نكون قد ختمنا جولتنا الاستعراضية النقدية أملين أن نكون قد وفقنا في كشف كثير من الزيف والتجني الذي تعرضت له الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة ، وان كان هناك تقصير أو خطأ أو تعدٍ على حقوق أحد أو طرف ، فأنا الملام وأتحمل مسئولية ذلك شخصياً .

ختاماً ، نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأصدقاء الاعزاء الذين لم يبخلوا علينا بمساعداتهم النظرية والعملية ، والتي كان لها أطيب الأثر في انجاز هذا الكتاب ، وبالذات أولئك الأصدقاء الأحبة الذين قدموا لنا مزيداً من المعلومات التاريخية والواقعية وبالخصوص في فصلي : تأريخ الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة ، وقصة جريمة اغتيال المدني ، والتي لم يكن من الممكن الوصول اليها ، وبالذات في النقطة الاخيرة ، لولا الجلسات الشخصية المطولة التي لم يبخل بها علينا أصحابها . لذا ، نكرر شكرنا وتقديرنا لمساعداتهم ومعلوماتهم القيمة .

واخيراً ، أسأل المولى القدير ، ان يتفضل علي بقبول هذا الجهد المتواضع في الذود عن الحركة الاسلامية المجاهدة وابنائها البررة الصادقين ، وان يجعله نافعاً لنا اجمعين ، « في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلاّ من أتى الله بقلب سليم ».

الفصل الأوّل

متى برزت الحركة الإسلاميّة المعاصِرة في البحرين؟

(القسم الاول : إجابة يسارية)

الاسلام كدين وبالتالي كرسالة حضارية ، جاء لاعادة صياغة حياة الانسان الفردية والجماعية وعلى مختلف الأصعدة والمستويات الفكرية والنفسية ، الاجتماعية والاقتصادية ، السياسية والاخلاقية والمسلكية وغيرها .

ومن هنا . فانه لا يمكن لأية حركة اسلامية تنشد التغير الحضاري للأمة ، إلّا أن تنطلق من هذا الفهم الموضوعي للأسلام . وبالتالي لا بد ان ينعكس هذا الفهم وهذا الانطلاق على مجمل برامج وانشطة وتوجهات تلك الحركة .

وعليه فان الجانب السياسي للحركة الاسلامية لا يشكل إلا احد أقسامها وقنواتها . وقد يتصدر انشطتها وقد يتأخر بناء على العديد من العوامل والظروف الموضوعية والذاتية ، مثل ان تكون الظروف الموضوعية العامة مهيأة للحركة الاسلامية لأن تخوض معترك الحياة السياسية بشكل مكثف وسافر أو بشكل متواري وغير مباشر .

ونتيجة لانعدام هذا الفهم الصحيح للاسلام وللحركات

الاسلامية لدى عموم اوساط اليسار ، فقد تعاملوا مع الحركات الاسلامية مثلما يتعاملون مع سائر الحركات السياسية فلا يبدأون رصدها وتتبعها ودراستها إلّا عندما تشهر نفسها سياسياً عبر بعض الانشطة السياسية « الظهورية » كالبيانات والنشرات وغيرها .

ومن هنا نستطيع ان نفهم مدى المفاجأة والارباك بل والذهول لدى اوساط اليسار بل ومجمل الدوائر العالمية من الانتصار الاسلامي في ايران وعموم النهوض الاسلامي في المناطق الاخرى لأنهم لم يستطيعوا أن يلاحظوا ويتابعوا حجم ونشاط وتفاعل الحركة الاسلامية عموماً ـ ولم يكن بمقدورهم ذلك ـ خلف ضجيج معترك الحياة السياسية . ولأنهم انحشروا في الدائرة السياسية فإنهم لم يستطيعوا ان يطلوا من فوق دخان الصراعات السياسية ليروا ما يجري في عمق الكيان الاجتماعي لبلدانهم .

وعلى هذا نستطيع ان نفهم ايضاً مدى التخبط والتشويش والارباك في دراسات اليسار عموماً حول الحركات الاسلامية والتأريخ لها وحول النهوض الاسلامي المعاصر (راجع بهذا الخصوص ندوة الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم الاسلامي التي عقد في قبرص في الفترة من ١٨ /١٩ / آذار ١٩٨٧ م ـ مجلة النهج عدد (١٥) + والتي سنفرد لها دراسة لاحقة قريباً باذن الله تعالى).

وأما هنا وبخصوص تساؤلنا السابق : متى برزت الحركة الاسلامية ؟ فاننا سنستعرض بعض الفقرات من كتاب « مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية » لنلمس مدى التشويش والتخبط في معرض الاجابة على ذلك التساؤل :

متى برزت الحركة الاسلامية المعاصرة ؟؟

يجيب صاحب الكتاب المذكور قائلاً : «وخلال السنوات الاخيرة ، برزت الحركة الدينية في عدد من الاقطار العربية والاسلامية ، مغذية بعضها البعض ، ومحققة العديد من النجاحات » . (ص٦) .

ولكن كيف يمكن تحديد تلك السنوات الاخيرة ؟

يضيف قائلاً : «بدءاً من انتصار الثورة الايرانية واستيلاء رجال الدين على مقاليد السلطة » . (ص٦) .

ولكنه يعود في الصفحة المقابلة ويورد رأياً آخر فيقول :

« ١ - نشطت الحركات الدينية بشكل ملفت للانتباه بعد الفورة النفطية ، وباتت الرجعية السعودية قاعدة الاسناد والتمويل لكثرة من هذه الحركات » . (ص ٧) .

ثم يعود مرة اخرى في الصفحة التالية ويقدم اجابة اخرى قائلاً :

« ٢ - بعد انتصار الثورة الايرانية ، نشط التيار الشيعي ، وأفرز حركات وطنية معادية للامبريالية والانظمة الاستبدادية الرجعية » (ص ٨ - ٩) .

نلمس هنا بوضوح مدى الضبابية والتشويش لدى الكاتب في محاولته للأمساك بالبداية التأريخية للحركة الاسلامية المعاصرة . فاحياناً يردها الى الفترة التي أعقبت انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، ومرة اخرى ينسبها الى تأثيرات البترو دولار

« السعودي » الذي تعاظم تأثيره ونفوذه في اعقاب الفورة النفطية .

كنا قد ذكرنا منذ البداية ، ان اليسار عموماً لم يفهم الحركات الاسلامية المعاصرة فهماً عميقاً متكاملاً وانما حاول ان ينظر اليها كحركات سياسية صرفة . لذلك فان الكاتب هنا لم ينظر سوى إلى تلك « الحركات » التي تعيش على فتات وروائح البترو دولار السعودي . وتجاهل أو قد يكون جاهلاً بالفعل بالعديد من الحركات الاسلامية المجاهدة سواء في ايران أو العراق أو البحرين أو العديد من المناطق الاسلامية الاخرى ، والاّ فهل يعقل ان الانتصار الاسلامي الشعبي في ايران هو وليد ساعة الانتصار . ان ذلك الانتصار الرائع لم يكن إلاّ تتويجاً لتاريخ جهاد مشرق مليء بالتضحيات الجسام ، لتاريخ بلون الدم القاني وعذابات وتضحيات آلاف العلماء والمفكرين والشباب الاسلاميين من ابناء الحركة الاسلامية المجاهدة في ايران .

ثم يزعم الكاتب انه « بعد انتصار الثورة الايرانية ، نشط التيار الشيعي ، وأفرز حركات وطنية معادية للامبريالية والانظمة الاستبدادية ». ونحن نتساءل هنا لماذا هذا التجني وعدم الانصاف؟ بل لماذا هذا الطرح والتقسيم الطائفي من كاتب شيوعي حرص دائماً على ان يقدم نفسه محارباً للطائفية ؟!

هل حقاً ان التيار الشيعي هو وحده الذي نشط بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ؟!

إذن ماذا عن نهوض الحركات الاسلامية المجاهدة في مصر وتونس والمغرب والسودان وفلسطين وغيرها من البلدان

العربية والاسلامية ، التي استلهمت من ثورة الشعب الاسلامي في ايران روحية الجهاد والثورة ؟ لا أحد يستطيع ان ينكر تأثير الثورة في ايران ودفعها الثوري في عموم العالم الاسلامي . حتى الدوائر الاستكبارية والرجعية تعترف بذلك . هل يريد ان يقول ان الثورة الاسلامية في ايران لم تعنِ سوى الشيعة وحدهم ، ولم تحرك سواهم !!

وماذا عن البحرين ، متى برزت الحركة الاسلامية المعاصرة فيها ؟

يقول الكاتب :

« ان مسيرة ٢٣ فبراير نقطة فاصلة ومهمة للغاية في حركتنا السياسية فقد تخلت الحركة الوطنية عن الدعوة لمسيرة التضامن مع الثورة الايرانية للمعارضة الدينية . . . ثم يضيف قائلاً : منذ ذلك الوقت برزت المعارضة الدينية في مجرى الأحداث ، عاملة على تكتيل قواها وتعبئة الجماهير حول النقاط الاثنتي عشرة التي طرحتها في عريضتها الشهيرة التي قدمتها الى الحاكم ». (ص ٩٢) .

مرة اخرى يقدم الكاتب دليلاً آخر على قصر نظر وعدم فهم اليسار للحركة الاسلامية ، وذلك حينما اعطى تاريخاً دقيقاً جداً لانطلاقة الحركة الاسلامية في البحرين وذلك كما يرى يوم ١٩٧٩/٢/٢٣ م أي اليوم الذي خرجت فيه المسيرات الجماهيرية الاسلامية تضامناً مع الثورة الاسلامية في ايران والثورة الفلسطينية .

بل والأكثر من ذلك ، فان الكاتب يحاول ان يكون اكثر تدقيقاً

وتحديداً ولكنه يقع في مطبات ومتاهات لا أول لها ولا آخر ، فيزعم : « ان المعارضة الدينية التي برزت خلال الأشهر الماضية لم تكن كل الحركة الدينية ، بل كانت قسماً صغيراً منها ، لأن الغالبية الساحقة من رجال الدين الشيعة والسنة لم يترددوا عن الالتصاق بمصالحهم الكبيرة وبارتباطهم مع النظام . . ولم يتحرك احد منهم في مسيرة أو مظاهرة ولم يخطب احد منهم داعياً لمحاربة الظلم والفساد في البلاد »، (ص ٨٩) .

ثم يضيف : « ان هذا التمييز مهم للغاية لأن البعض لا يحرص على تقديم الوقائع بدقة ، ويتحدث عن كل الحركة الدينية وكأنها موحدة . . . ان البعض لا يستطيع ان يرى الصراع الطبقي وسط هذه الحركة .

لا يرى أن هناك ارستقراطية متخمة تغني للعمالة والارتباط مع الزمرة الحاكمة ». (ص ٨٩) .

ولكن من رموز هذه الإرستقراطية ؟!! يجيب :

« وكانت الارستقراطية الدينية من الطائفية تقف ضد الخميني ومع عيسى بن سلمان وشاه ايران وملك السعودية لا فرق في ذلك بين عبد اللطيف المهزع وعيسى قاسم والجمري والمدني . فقد كانت السعودية تمول كلاً من حركة الاخوان المسلمين وجمعية التوعية الاسلامية ». (ص ٨٨ ـ ٨٩) .

نحن في هذا الفصل سوف لن نناقش تلك الاتهامات الرخيصة التي وزعها الكاتب يميناً وشمالاً على علماء الدين والمؤسسات الدينية ، فقد أفردنا لها فصلاً خاصاً ، لا لأهميتها في حد ذاتها من حيث صدقها أو كذبها فقط ، وانما لأمور أهم من

ذلك واكبر بكثير حيث انها اخذت حيزاً كبيراً من كتابات واقوال وممارسات اليسار عندنا عموماً والجبهة الشعبية خصوصاً ، وبالتالي فانها تستبطن اخطاءً فكرية ونفسية ومسلكية يجب الوقوف عندها ودراستها وتعريتها . صحيح « ان المعارضة الدينية التي برزت خلال الأشهر الماضية لم تكن كل الحركة الدينية ، بل كانت قسماً صغيراً منها »، ولكن ذلك ليس « لأن الغالبية الساحقة من رجال الدين الشيعة والسنة لم يترددوا عن الالتصاق بمصالحهم الكبيرة وبارتباطهم مع النظام ». وانما لأن الحركة الاسلامية البحرانية بمختلف فصائلها ورموزها كانت ترى انه يجب اعتماد تكتيكات وأساليب أخرى . وكانت ترى في تحركات الشيخ العكري عفوية مفرطة رغم جرأته ونشاطه .

كانت الحركة الاسلامية بمختلف فصائلها ورموزها خلف سطح الاحداث مباشرة ، بل ولها اليد الطولى في كثير من تلك الاحداث ، ولكنها ايضاً كانت تعد نفسها وقواها وتعبأ صفوفها وجماهيرها عبر برامج عمل متنوعة وشاملة : ثقافية واجتماعية وجماهيرية وسياسية وعسكرية من اجل انتظار اللحظة الثورية الحاسمة التي تكون فيها المواجهة الثورية الشاملة للتخلص من السلطة الاستبدادية العشائرية ومظاهر التواجد الاجنبي وبناء حكومة شعبية اسلامية عادلة .

وليت الأمر وقف بالكاتب عند هذا المستوى من التخبط والتهويش ، بل ان الشطط حلق به إلى آفاق بعيدة من الظنون والافتراءات . وبدأ يصور الأمر على انه منافسة ومنازعة بين رجال الدين والشيخ العكري في زعامة الشارع الجماهيري ، فيقول : « كان الآخرون من رجال الدين قابعين في جحورهم

وجلين من هذه المنافسة الشديدة التي يقوم بها العكري . أما المدرسي فلم يكن موضع منافسة طالما قد اعتمده الامام الخميني ممثلاً شخصياً له ، بالاضافة الى ما يتمتع به من امكانيات فقهية ». (ص ٩٢ - ٩٣) .

ونحن بهذا الصدد نحب ان نوضح عدة أمور أساسية :

١ - ان السيد المدرسي لم يكن الوحيد الذي يملك وكالة حسبية من الامام الخميني - وليس ممثلاً شخصياً له على حد تعبير الكاتب - بل كان هناك آخرون يقومون بهذه المهمة ايضاً ، وكان هناك آخرون ايضاً وكلاء لمراجع عظام في الأمة كالسيد الصدر (قدس سره) وغيره . هذا من جانب ومن جانب آخر ، فان الامكانيات الفقهية للسيد المدرسي لم تكن متميزة عن بعض أقرانه من علماء الدين في البحرين . وانما لم يكن السيد المدرسي في موضع « منافسة » - على حد تعبير الكاتب - مع الشيخ العكري لأسباب جوهرية ووجيهة لا ندري هل الكاتب حقاً يجهلها أم يتجاهلها . ولعل رفاقه في (جبهة التحرير) كانوا أقرب الى الموضوعية والحقيقة في هذه النقطة بالذات حيث ورد عنهم :

« وفي هذه الفترة - يقصدون اوائل السبعينات - وصل الى البحرين السيد هادي المدرسي ليرتبط بوصوله نشر نشاط ديني تنظيمي سياسي واسع وكذلك ايديولوجي عبر المنابر الدينية أو الصحافة (صحيفة المواقف) أو الكتيبات الدينية ، بما فيها كتيبات السيد المدرسي نفسه ». مجلة الفجر العدد ٧٠ (ص ١٢) .

٢ ـ ان الزعم بان المسألة « منافسة » بين الشيخ العكري وما مثله من معارضة دينية صغيرة من مجموع الحركة الدينية ـ على حد زعم الكاتب ـ، بين الشيخ العكري وتياره الوطني الثوري وبين بقية علماء الدين القابعين في جحورهم وجلين من هذه المنافسة الشديدة ، وهم يفنون للعمالة والارتباط ليس فقط بالنظام الخليفي وانما ايضاً بشاه ايران وملك السعودية » على حد تعبير واتهامات الكاتب نفسه . ان هذا الزعم يرفضه ويفضحه كل انسان مهما كان بسيطاً ، له معرفة بالبحرين واهلها ورجالها وعلماء الدين بها . والاحداث التي جرت في البحرين خلال السنوات الاخيرة التي اعقبت انتصار الثورة الاسلامية في ايران خير دليل وبرهان على ما نقول ، ومن أهم هذه الاحداث ما يلي :

أ ـ هجوم السلطة في جيش من الشرطة والمخابرات المسلحين في شهر سبتمبر ١٩٧٩ م على بيت السيد المدرسي بفظاظة ووحشية بالغة واقتياده مكبلاً الى مبنى المخابرات ثم الى المطار حيث تم سحب الجنسية البحرانية منه وتم ابعاده خارج البحرين . ثم اعتقال عدد كبير من الوجهاء والاعيان والشباب الاسلاميين الملازمين للسيد المدرسي نفسه .

ب ـ هجوم السلطة المسلح وبشكل وحشي على مقر « الصندوق الحسيني الاجتماعي » وتحطيم ومصادرة محتوياته واعتقال ومطاردة اعضائه في منتصف عام ١٩٨٠م .

حـ ـ حملات الاعتقالات الواسعة التي طالت العشرات من علماء الدين والشباب المؤمنين ومن مختلف مناطق البحرين من

المحرق والمنامة والقرى ، وقد تكررت تلك الحملات ولا زالت .

د ـ تهجير السلطة للمئات من الشباب والكهول والنساء والاطفال الملتزمين اسلامياً وذلك بعد سحب جنسياتهم وهوياتهم الشخصية ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم الخاصة .

هـ ـ افتعال السلطة مؤامرة ديسمبر ١٩٨١م ومحاولتها تصفية الحساب سياسياً وبدنياً مع الحركة الاسلامية ، ثم الزج بثلاثة وسبعين شاباً من خيرة شباب الجبهة الاسلامية في غياهب السجون بعد محاكمتهم صورياً أمام محكمة أمن الدولة السرية التي أصدرت احكاماً قاسية جداً بحقهم ، (٣ مؤبد ، ٦٠ خمسة عشر سنة ، ١٠ سبع سنوات سجناً) .

و ـ هجوم السلطة بجيش من الشرطة والمخابرات المدججين بالسلاح على مقر « جمعية التوعية الاسلامية » في ٢/٤/١٩٨٤م ، الذين قاموا بتكسير ومصادرة محتويات الجمعية ، وطاردوا التلميذات اللاتي كن يتابعن دراستهن في المدرستين الابتدائيتين التابعتين للجمعية طاردوهن في أزقة منطقة الدراز » وأشبعوهن ضرباً وشتماً وترويعاً . ثم اقتادوا رئيس مجلس ادارة الجمعية فضيلة الشيخ ابراهيم منصور الجفيري مكبلاً الى مقر المخابرات حيث جرت محاكمته هو ومجموعة من خيرة أساتذة وكوادر تلك الجمعية أمام محكمة أمن الدولة السرية حيث حكمت عليهم بالسجن سبع سنوات ، وذلك بعد ان عرضوا لتعذيب وحشي رهيب نقل على اثره العديد منهم الى المستشفى العسكري قسم العناية القصوى مثل الشيخ حسن المالكي والحاج على العكري كما افادت آخر الاخبار القادمة من السجن أن

الشيخ ابراهيم الجفيري اصبح محدودب الظهر ولا يستطيع ان يمشي منتصباً

ز ـ اعتقال السلطة للعشرات من الشباب الاسلامي الملتزم والمتحرك من أتباع علماء الدين البارزين في البحرين ـ والذين يصفهم الكاتب بأنهم يغنون للعمالة حتى للطغاة خارج حدود البحرين كما يزعم ـ من أمثال : فضيلة الشيخ عيسى قاسم وفضيلة الشيخ سليمان المدني وفضيلة الشيخ عبد الأمير الجمري وفضيلة الشيخ احمد مال الله ، وفضيلة السيد عبد الله المحرقي وغيرهم .

ولقد اخضع اولئك الشباب الى صنوف من التعذيب الجسدي والنفسي الرهيب وقدم العديد منهم الى محكمة امن الدولة كالاستاذ عيسى الشارقي والاستاذ حميد مسعود والاستاذ احمد عباس والاستاذ مهدي صالح زين الدين وغيرهم كثير حيث حُكم عليهم بالسجن لسبع سنوات .

حـ ـ تعرض علماء الدين السابقة اسماؤهم وآخرون ايضاً الى صنوف شتى من الارهاب والضغوطات بهدف شل فاعليتهم واجبارهم على الرضوخ أو تجريدهم من وسائل قوتهم وتأثيراتهم . تمثلت هذه الضغوطات واساليب الارهاب في الاستدعاءات المتكررة لقسم المخابرات واخضاعهم للتحقيقات الدقيقة والمستمرة حتى على الالفاظ العادية التي ترد في خطاباتهم أو مع مسائليهم من الناس وقد تعرض بعضهم للتعذيب والسجن فترات طويلة بسبب ذلك كالشيخ احمد مال الله والسيد عبد الله المخرقي . واصبحت هناك دوريات فردية وجماعية للمخابرات ترابط امام منازل علماء الدين هؤلاء لكي يتم تسجيل

كل حركاتهم وسكناتهم ، حتى وصل الأمر ـ مع هذه الارستقراطية الدينية المتخمة التي تغني للعمالة كما تفضل صاحب الكتاب ـ انه بمجرد ان يتبرع احد الشباب المؤمنين بتوصيل عالم الدين الى منزله بالسيارة [حيث ان هذا الأرستقراطي المتخم لا يملك سيارة يا ايها السيد صاحب الكتاب] فانه يتم على الفور اعتقال هذا الشاب ويخضع لفترة طويلة من الاعتقال والتعذيب ، وهذا ما حصل للشيخ عيسى قاسم عدة مرات .

ط ـ محاولة السلطة التصفية الجسدية لبعض رموز الحركة الاسلامية من علماء دين وشباب مجاهدين ، وقد قامت بهذه الجريمة فعلاً داخل المعتقلات وتحت التعذيب كما حصل للشهيد جميل محسن العلي والشيخ جمال الدين العصفور ومحمد مدن وكريم حبشي ورضى زين الدين . كما انه في خارج السجن جرت عدة احداث « غامضة » مثل مقتل سماحة السيد احمد الغريفي في حادث انقلاب واصطدام سيارته (٨/١١/ ١٤٠٥ هـ ٢٧/٧/١٩٨٥م) وقد قدمت حينها مجلة « الثورة الرسالية » التي تصدرها « الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين ملحقاً خاصاً بهذه الحادثة ـ الجريمة يكشف وبالعديد من الادلة القوية أصابع السلطة ومخابراتها وراء هذه الجريمة . وقد وقعت حادثة ـ جريمة اخرى مشابهة لما جرى للعلامة السيد الغريفي ، وذلك للشهيد الشاب جاسم احمد التنان الذي قتل في رمضان ١٤٠٨ هـ ـ مايو ١٩٨٨م في حادث انقلاب سيارته . وقد شيعتهما ـ الشهيد الغريفي والشهيد جاسم ـ الجماهير المؤمنة في البحرين تشيعاً حاشداً غاضباً وهي تحمل صورهما وتندد بقتلتهما . واليوم تتناهى الينا أخبار مؤكدة من أن سماحة الشيخ عيسى قاسم قد تعرض

لمحاولة قلب السيارة التي توصله مرتين بهدف اغتياله وتصفيته كما تعرض قبله لنفس المحاولة السيد الوداعي . ويبدو ان السلطة الاستبدادية العشائرية التي وجدت نفسها في أخطر مراحل المواجهة الشعبية لها منذ قرنين من الزمان هي فترة سيطرتها على السلطة في البلاد ، مواجهة شعبية اسلامية على رأسها علماء الدين الافذاذ ، قد اتخذت قراراً بتشكيل « فرق الموت » مستفيدة من تجارب الانظمة الديكتاتورية في امريكا اللاتينية في مواجهة المعارضة الشعبية ، وهذا الاسلوب ـ ان اصبح حقيقة مؤكدة كما تقوم عليه الأن العديد من الشواهد والادلة ـ هو استكمال للأسساليب الأخرى التي تستخدمها السلطة الاستبدادية العميلة في مواجهة الحركة الاسلامية .

وبعد هذا الاستعراض السريع والموجز لأهم فقرات الاحداث التي تلت انتصار الثورة الاسلامية ـ والتي قد يجهل صاحب الكتاب المذكور بعضها وقد يتجاهل بعضها الأخر ـ تكشف بوضوح تام موقع علماء الدين وحقيقة مواقفهم . ويتبين بجلا ان الحقيقة ، ليست كما صورها صاحب الكتاب المذكور ، حيث زعم أن المعارضة الدينية التي برزت اعقاب الثورة الاسلامية في ايران ، ليست هي كل الحركة الدينية وأن غالبية علماء الدين الذين هم قيادة الحركة الاسلامية عامة هم « ارستقراطية دينية متخمة تغني للعمالة والارتباط بالنظام » .

بل ان الحقيقة كما قدمنا ان حركة الشيخ العكري بالرغم من أهميتها وعنفوانها إلا ان ملاحظة العاملين الاسلاميين عليها منذ البدء بل وقبل الشروع بها انها حركة عفوية مفرطة وان النضال ضد هذه السلطة الاستبدادية الغاشمة والعميلة والضاربة بأطنابها في العالم

والحقد الطائفي والجريمة والارهاب العام ، وسيطرتها المطلقة على مقدرات البلاد والمجتمع ، ان النضال هذا أبعد ما يكون عن العفوية المرتجلة تماماً .

وها هي اليوم ملاحظة العاملين الاسلاميين تثبت صحتها وسلامتها ، فرغم البطش والارهاب والتنكيل والقتل والاغتيال والمطاردة وتصفية المراكز الاسلامية الثقافية والجماهيرية والاجتماعية بل وحتى العبادية . ورغم السنوات الثمان الماضية والتي تمادت فيها السلطة بهذه الاساليب الوحشية والتي لم تتماد أو لم تلجأ اساساً لاستخدامها بهذه الشدة وبهذا العمق وبهذه الفترة الزمنية الطويلة سابقاً ، فرغم ذلك لا زالت الحركة الاسلامية برموزها الاماجد وبفصائلها المجاهدة منتصبة في الساحة تتصدى للطغيان والارهاب وتتحدى الاستبداد السلطوي والأمريكي : مصممة على اجتثاث الطغيان ورد الشر عن كاهل كل الشعب المسلم في البحرين واقامة حكومة شعبية اسلامية عادلة .

القسم الثاني : اجابة إسلامية

كنـا قـد انتهينـا في القسم الاول من هـذا الفصـل مـن استعـراض ومناقشـة محاولـة يساريـة لتأريـخ الحركـة الاسـلاميـة المعـاصرة في البحـرين . وهنا في هـذا القسم سنقـدم محـاولتنـا لرصد تـاريخ إنـطلاقة الحـركة الاسـلامية البحـرانية المعـاصرة ، معتمدين في ذلك على مصادر ومعلومات الحركة الاسلامية مباشرة عبر بعض رموزها المؤسسية والدقيقة .

بدايات وجذور :

ان الاطار النظري ـ الايـديولـوجي لأية حـركة سيـاسية مهم للغـاية ، بـل هو العمق الحقيقي لفهم ايـة حركـة سيـاسيـة فهمـاً مـوضوعيـاً متكـامـلاً . والاسـلام هـو ذلـك العمق وذلـك الاطـار النظري ـ الايديولوجي للحـركة الاسـلامية البحـرانية . ومن نـافل القول ان الاسلام ، كرسالة حضارية شاملة ودقيقة ـ كانت لـه رؤاه واطره النظريـة الخاصـة والكاملة في شتى المجـالات ، ومن اهم تلك المجالات ، الجوانب السيـاسية والاجتمـاعية والاقتصـادية ، اي الجوانب الانسانية بشتى تفرعـاتها ومستـوياتهـا . كما انـه من

نافل القول ايضاً ان التعاليم الاسلامية ذات صبغة انسانية شديدة وترفض بكل شدة ودقة اي استلاب انساني فردي أو جماعي ، داخلي أو خارجي ، ومن هنا ، فاننا نلمس بوضوح تلك الروح الانسانية الثورية في الاسلام كأطار نظري - ايديولوجي ، والتي شكلت احد معالمه الاساسية ، كما اننا نلمس تلك الروح في المجتمعات الاسلامية عموماً . ومن هنا ، يمكن فهم كل الثورات وحركات الرفض الثورية ، التي شكلت القسم الاغلب من تاريخ الامة ، سواء الموجهة ضد الانحرافات الداخلية أو تلك الموجهة لمقاومة التسلط والاستعمار الاجنبي .

والبحرين منذ القدم ، منذ أن دخلت في الاسلام طوعاً واختياراً ، وانصهر ابناؤها في رسالة الاسلام ، اشتهرت بالعلم والفضيلة والاخلاق العالية ، ساعد على ذلك العديد من العوامل والظروف مثل خلفيتها الحضارية وموقعها الاستراتيجي على طرق التجارة واشتغال اهلها بالزراعة والتجارة ذات الصبغة الحضرية والمستقرة .

ومن يتصفح كتب التاريخ والسيرة وتراجم الرجال يلحظ تلك الحالة واضحة جلية ، سواء على المستوى العلمائي ، حيث يحفظ لنا التاريخ اسماء لامعة للعديد من العلماء والفقهاء الكبار ليس على مستوى البلاد الصغيرة فقط ، وانما على مستوى الامة الاسلامية ككل ، أو على المستوى الشعبي العام حيث باتت تلك الحالة ، حالة العلم والفضيلة والاخلاق ، مشهوداً بها للشعب البحراني منذ القدم . .

فعلى ارض البحرين تنتشر أضرحة وآثار العديد من العلماء الكبار منتصبة تتحدى تقلبات الدهر ، وتنثر ذكرياتها العطرة لتذكر الأجيال المتعاقبة بأصالتها وماضيها العتيد ، ولتستمد الحركة

المعاصرة منها أريحية العلم والفضيلة وروحية الجهاد والثورة ورفض الظلم والاستعباد . فهناك من الفقهاء من تصدى للقيادة الشرعية والشعبية كالعلّامة الشيخ حسين آل عصفور الذي قُتل غدراً بطعنه بحربة من الخلف بعد ان تصدى للمواجهة الشعبية للخوارج الذين اجتاحوا البحرين في اوائل سيطرة آل خليفة على البلاد ، وبعد أن ولوا ـ هؤلاء الأخرين ـ الادبار امام الخوارج . ولا زال ضريحه الشريف يوجد في قرية الشاخورة التي كانت يوماً ما احد مراكز العلم والفضيلة في البلاد ، ويؤمه يومياً العديد من ابناء البلاد تيمناً وتقديراً وزاداً روحياً ومعنوياً من طريق ذات الشوكة[١] .

وهناك ايضاً العلامة الفقيه الشيخ خلف العصفور الذي نفاه البريطانيون الى النجف الأشرف بالعراق بسبب مواجهته للسيطرة البريطانية في مطلع هذا القرن[٢] .

وهناك ايضاً العلامة الشيخ عبد الله العرب الذي قتل غدراً على يد « فداوية » الحاكم يومذاك . وقد مُثل بجسد الشهيد تمثيلاً وحشياً ينم عن الفظاظة والحقد والهمجية ، حيث قطع رأسه الشريف وبتر خنصره الأيمن وتم سلب الخاتم الذي كان

---

(١) الأميني؛ (الشيخ) عبد الحسين. شهداء الفضيلة ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. حيث ورد بهذا المصدر أنه: العلامة الشيخ حسين بن محمد آل عصفور؛ شهادته كانت في سنة ١٢١٦هـ الموافق ١٨٠١م.

(٢) الشيخ خلف بن احمد آل عصفور/ وفاته في كربلاء سنة ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م ـ المرجع كتاب ماضي البحرين وحاضرها: مخطوط لدى أنجال المؤلف الشيخ ابراهيم المبارك ـ في هذا المخطوط نفي الشيخ وعودته ثم تحديد اقامته في باربار ثم اعادة نفيه الى العراق؛ وفيها توفي رحمة الله عليه.

بالاصبع المبتور . وقد تمت هذه الجريمة البشعة في اوائل هذا القرن ، كما قد عُثر على « عريضة » وقعها أهالي العديد من قرى ومناطق البلاد المختلفة يحتجون فيها على تلك الجريمة النكراء ويطالبون فيها بدم الشهيد وبالقصاص من القتلة السفاحين . وهذا مؤشر ـ مع تفاصيل تلك الجريمة الشنيعة ـ يكشف بوضوح تام عن مقام ودور ذلك العالم الشهيد في المجتمع يومئذ(٣) .

وهناك العلماء الكبار المبرزون في الجانب العلمي والاجتماعي الذين قضوا حياتهم الشريفة في العلم والعمل في البلاد ثم هاجر قسم منهم تحت ظروف القمع والاضطهاد والظلم والطغيان الى الدول المجاورة كايران والعراق والهند والجزيرة العربية . ومن الامثلة التي تستحضرنا الآن العلامة الفقيه الكبير صاحب « الحدائق » الشيخ يوسف العصفور البحراني ، والعلامة المتبحر الشيخ عبد الله بن نور الدين البحراني الذي هاجر الى « أصفهان » في السنوات المعدودة والاخيرة من عمره والتي لا تزيد عن « بضع » سنوات حيث توفي فيها . وقد عثر مؤخراً على أحد مخطوطاته وهو كتاب معالم العوالم » ويعتبر حتى الآن أضخم مؤلف اسلامي حيث بلغ مئتي مجلد مخطوط وقد بوشر الآن في تحقيقه وطباعته في ايران حيث يتوقع ان يصل عدد مجلدات ذلك الكتاب « العوالم » الى ستمائة مجلد مطبوع . وهذا واحد من مؤلفات ذلك العالم الجليل ، الذي كشف عن غزارة مدهشة في الانتاج وموسوعية فائقة من العلم .

---

(٣) الشيخ عبدالله العرب ـ استشهاده سنة ١٣٣٥هـ الموافق ١٩١٦م.

المرجع كتاب ماضي البحرين وحاضرها «مرجع سابق» وعريضة الاحتجاج مؤرخة بـ ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٥ هـ ـ ١٣ آب/ أغسطس ١٩١٦ م.

انطلاقة الحركة الاسلامية :

اضمحلت دور العلم التي كانت البحرين زاخرة بها [في الجنبية وجد حفص ومقابة والشاخورة والدمستان وكرزكان وغيرها من مناطق البلاد]. وتقلص عدد العلماء بشكل خطير جداً ، وكان ذلك بفعل العديد من العوامل ، ولعل أهمها عدم استقرار الوضع السياسي نتيجة لتعاقب سيطرة القوى الاقليمية والمحلية على السلطة والمجتمع وما رافق ذلك من صراعات دموية وتدمير رهيب . وكانت سيطرة عشيرة آل خليفة عام ١٧٨٣م آخر تلك القوى ، التي لم تكتف بالسيطرة السياسية والادارية على البلاد ، وانما مارست ارهاباً سياسياً وطائفياً رهيباً جداً لم تشهد البلاد مثله في مراحل طويلة .

وما قدمناه فيما سبق من امثلة معدودة يعد علائم طيبة على مرحلة يانعة ونضرة للحالة الاسلامية العامة قبل الولوج الى مرحلة التراجع التي اعقبت السيطرة الخليفية على مقدرات البلاد والتي استمرت حتى اواخر الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن .

ومع دخول البلاد الحقبة النفطية في اوائل الثلاثينات من هذا القرن ،أخذت كثير من التغيرات والانعكاسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تشق مجراها بقوة سواء على صعيد الدولة أو المجتمع . كل ذلك مترافق مع مجمل التغيرات والتطورات الاقليمية والعالمية السياسية والحضارية (التقدم العلمي والتكنولوجي في وسائل العلم والثقافة ونهوض حركات التحرر العالمية وانتصار العديد من ثورات الشعوب المستضعفة

ومنها بعض الشعوب الاسلامية). وقد ساعد الشعب البحراني في تمثله لهذه المتغيرات خلفيته الحضارية والثقافية وموقع البلاد الهام في طرق التجارة والمواصلات العالمية وانفتاحها حضارياً وتجارياً على العالم .

وبما أن الحالة الاسلامية كانت تعيش وضعاً متراجعاً فقد ساعد ذلك كثيراً على توجه كثير من الطاقات الشابة المتنورة والمثقفة في المجتمع الى التأثر بالمدارس والتيارات الفكرية والفلسفية والسياسية غير الاسلامية .

وبالرغم من ان أضخم انتفاضة شعبية حديثة شهدتها البلاد كانت في اوائل الخمسينات (انتفاضة ٥٤ ـ ١٩٥٦م)، حيث كان زعيمها عالم دين جليل هو (السيد علي كمال الدين الغريفي) كما انها كانت تنفجر وتنطلق من المراكز الاسلامية التقليدية كالمساجد والمآتم وفي المناسبات الاسلامية العامة (مثل مآتم بن خميس في السنابس والمسجد الكبير في المنامة أو مسجد الخميس وفي العشرين من صفر وغيرها من المناسبات الاسلامية الجماهيرية). بالرغم من كل ذلك إلاّ انها كانت تفتقد التوجيه الاسلامي نتيجة لانعدام « الحركية الاسلامية » ولتخلف الحالة الاسلامية العامة .

ومع فشل انتفاضة ٥٤ ـ ٥٦م وتلاشي زخمها الجماهيري ونفي قادتها الى خارج البلاد وعلى رأسهم عالم الدين السيد علي كمال الدين الذي قضى بقية عمره في مدينة العلم بالنجف الاشرف بالعراق ثم رجع الى البلاد في أواخر أيامه حيث بقي ما يقارب ثلاث سنوات ثم توفي رحمة الله عليه .

نما وعي متزايد لدى الرعيل الاول من ابناء الحركة الاسلامية بضرورة وأهمية الحركة والانطلاقة بضرورة كسر القيود وتخطي حالة التراجع والجمود . وامام هذه الحالة من التخلف وبما أن الحركة الاسلامية حركة حضارية ، ذات رسالة فكرية انسانية شاملة ، كان طبيعياً جداً ان تأخذ « المرحلة الفكرية »، مرحلة بناء الذات والقاعدة الجماهيرية فكرياً وثقافياً الأهمية الاولى والانطلاقة الاولى . وكان طبيعياً جداً ان يتوجه الرعيل الاول الى مدينة العلم والفضيلة النجف الأشرف لبناء الذات استعداداً للمرحلة القادمة .

وبالفعل فقد بدأت تتوالى دفعات من الشباب المؤمن المخلص المتنور على مدينة النجف الاشرف منذ اوائل الستينات وبشكل منتظم ومستمر . وبدأت تنصهر وتتفاعل مع الاجواء العلمية والسياسية والحركية التي كان يموج بها العراق بشكل عام والمدن المقدسة فيه بشكل خاص . ويجب التذكير هنا انه في هذه الفترة بالذات بدأت اطروحات « الحركية والحزبية الاسلامية » تظهر وتطرح نفسها علناً وبقوة على الساحة ، مثيرة حركة جدل وتفاعل من طراز جديد على الساحة الاسلامية كظهور « حزب الدعوة الاسلامية في العراق »، وفي هذه الفترة بالذات ظهرت كتابات ومؤلفات المفكر الاسلامي العملاق الشهيد السعيد اية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر التي كانت ايذاناً ببدء مرحلة جديدة ونوعية في الوعي والفكر الاسلاميين .

بل والملاحظ ايضاً انه في تلك المرحلة بدأت نهضة الامام الخميني دام ظله كما قد سبقها تحركات اسلامية سياسية مثل حركة الشهيد السيد نواب صفوي ، ومرجعية زعيم الامة السابق

السيد الحكيم (قدس سره) التي جمعت بين المرجعية الدينية والمرجعية السياسية الشعبية .

وطبيعي ان ينعكس كل ذلك على الساحة الاسلامية البحرانية وتتمثله بهذا القدر أو ذاك وبالذات مع ابنائها الذين هاجروا لتلقي العلم والزيارة الى تلك المناطق المشرفة

ونحب ان نؤكد هنا أنه نتيجة للأسباب الامنية والظروف الارهابية السائدة في البجرين وبالذات مع الحركة الاسلامية ، حيث انه لا زالت كثير من الحقائق والمعلومات التاريخية تشكل مادة حية وخطيرة فانها تشكل احدى العقبات الأساسية امام الباحث في هذا الميدان إلاّ أنه بتسليطنا الضوء على بدايات وكيفية تشكل المؤسسات الرئيسية للحركة الاسلامية المعاصرة تعطينا فكرة واضحة عن بداية انطلاقة الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة وتعفينا في الوقت نفسه عن الدخول في دهاليز السرية والمعلومات الامنية التي لا نحب الخوض فيها .

١ ـ قيام « جمعية التوعية الاسلامية » :ـ

مما جاء في كتاب : القضية البحرانية وشهداؤها ـ اصدار المجمع العلمي للطلبة البحرانيين الذي هو امتداد طبيعي لجمعية التوعية الاسلامية بمدينة قم المقدسة ما يلي :

« في اواخر الستينات ، حيث بداية الوعي الاسلامي ، وانحدار الاطروحات العلمانية وانكشاف زيفها لدى الشعب البحراني ، تجمع عدد من الشباب المؤمن في الدراز وبدأوا عملهم في نشر الاسلام في بعض مجالس المؤمنين ، وفي قراءة الأدعية في بعض المساجد ، ومنها مسجد ـ طي ـ وهومسجد

صغير يقع في شرق الدراز ، وقد قامت السلطة مؤخراً بجعله ملعباً لكرة القدم ، وقد هدمته بالتراكتور ومزقت نسخ القرآن التي فيه بتلك الآلة التي خلطت الورق بالأحجار ، وقد استنكر هذا الفعل عدد من المؤمنين وعلى رأسهم فضيلة المجاهد الشيخ عيسى احمد قاسم الدرازي ، وطالب السلطة عدة مرات باعادة بناء المسجد ، ولكن السلطة أصرت على بغيها .

وما دمنا في الحديث عن هدم المساجد ، فلا بأس نكمل هذا الحديث اذ قامت السلطة ايضاً بهدم مسجد في الطريق الذي يربط بين « مدينة عيسى » ودوار الرفاع الذي يؤدي الى معمل تكرير النفط ، ورغم أن التي تحيط بالمسجد هي صحراء يمكن ان يكون الشارع فيها بعيداً عن المسجد ، غير أن السلطة تعمدت هدمه ، وقد قام المجاهد الشيخ العكري بالاحتجاج ومطالبة الحكومة الباغية باعادة المسجد وحرف الشارع عنه ، إلا انها لم تستجب . . وهدم هذا المسجد هو سابق على هدم مسجد طي الذي ذكرناه سلفاً .

كما قامت السلطة بهدم مسجد يقع في جزيرة صغيرة شمال جزيرة النبيه صالح أو « جزيرة أكل » وحولت هذا المسجد وما حوله الى نادٍ للضباط . . حيث اللهو والفساد وشرب الخمر .

نعود للحديث عن الجمعية ، فقد انتقلت من مسجد طي - قبل هدمه - الى مسجد أكبر منه هو مسجد القدم وذلك في عام ١٩٦٨م واتخذته مركزاً للنشاطات ، كما استأجرت بيتاً ليكون مقراً ، وبدأت مسيرتها المباركة في نشر الوعي الاسلامي .

وفي عام ١٩٧٢ م انتقلت الى مبنى كبير على الشارع العام

واستغلت الحرية النسبية للتحرك اثناء وجود المجلس الوطني ، وقد كانت محطاً للعلماء المخلصين والشباب المؤمن العامل .

وقد قامت بجهد كبير في رفع كلمة الله عن طريق الدروس الاسلامية ، والندوات والمحاضرات واقامة المؤتمرات الاسلامية بحضور كبار المفكرين والعلماء الاسلاميين ، كما قامت بمجهودات لتطوير المنبر الحسيني لخدمة القضية الاسلامية .

وانتشر اعضاؤها في معظم قرى البحرين ومدنها للتبليغ ، وقد اتخذت من بعض النوادي والمكتبات الاسلامية منطلقاً لها في تلك المناطق .

كما فتحت مدارس اسلامية شبه نظامية من مستوى الابتدائية الى الثانوية وذلك للبنات ، ومعهداً اسلامياً مسائياً ، قسماً للنساء وقسماً للرجال . . هذا غير الندوات الفقهية القصيرة . وقد أرسلت وفوداً منها الى العلماء الاعلام وفي طليعتهم امام الامة الخميني حفظه الله ، ذلك في النجف الاشرف قبل شهور من قيام الثورة الاسلامية المباركة ، شارحة له نشاطها وطريقة عملها فبارك مسيرتها . وفي الواقع فان الجمعية أحدثت دفعة كبيرة للوعي في البحرين ، فكانت اسماً على مسمى ، وأصبحت ملتقى الطاقات الشابة الخيرة . وأثناء قيام الثورة الاسلامية المباركة في ايران كان اعضاء الجمعية يتحركون لدعم هذه الثورة مادياً ومعنوياً ، وما إن انتصرت الثورة التي أبهجت صدور المؤمنين والمستضعفين في العالم ، حتى بادرت الجمعية وبصورة علنية بارسال برقية تهنئة بهذا الانتصار العظيم ، وقد نشر نص البرقية في مجلة المواقف البحرانية بتاريخ ١٩/٢/١٩٧٩م كالآتي :

جمعية التوعية الاسلامية تهنىء بانتصار الثورة الاسلامية في ايران

بعثت جمعية التوعية الاسلامية ببرقيتي تهنئة الى سماحة الامام روح الله زعيم الثورة الاسلامية والى سعادة دولة الدكتور مهدي بازرجان رئيس الحكومة الاسلامية المؤقتة . . وفيما يلي نص البرقيتين :

سماحة الامام المجاهد روح الله الخميني زعيم الثورة الاسلامية ـ طهران .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فان جمعية التوعية الاسلامية بالبحرين تبارك ثورتكم الاسلامية المقدسة وتؤيد موقفكم الحازم في الاطاحة بنظام الظلم والاستبداد ، وتهنؤكم على ما أحرزتموه من النصر المبين .

والله نسأل لثورتكم المباركة النصر والتأييد .

دولة الدكتور مهدي بازرجان رئيس الحكومة الاسلامية الثورية المؤقتة المحترم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فان جمعية التوعية الاسلامية في البحرين تهنؤكم على ثقة[1] الامام آية الله الخميني زعيم الثورة الاسلامية والشعب الايراني فيكم باسناد رئاسة الحكومة الاسلامية لشخصكم الكريم وتبارك خطواتكم في خدمة الاسلام . . ونسأل الله سبحانه لكم النصر والتأييد .

[١ ـ يلاحظ الدقة في التعبير بأن التهنئة منوطة بثقة الامام

وقتها به لا بمطلق الشخص المهنأ].

وفي الوفد الشعبي الذي توجه الى تهنئة الامام بقيام الجمهورية الاسلامية ، كان عدد من علماء الجمعية واعضائها ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عيسى احمد قاسم ، وفضيلة الشيخ عبد الامير الجمري وفضيلة الشيخ عباس الريس ، وقد ألقى الشيخ عباس قصيدة في الحاضرين يهنىء فيها الامام . وفي احتفالات الجمعية التي أعقبت الثورة كان لا يخلو احتفال من قصيدة شعرية ثورية يمدح فيها الامام وتجديدالبيعة له وتأييد الجمهورية الاسلامية المطلق ضد أعداء الاسلام . وما إن دعا الامام الخميني حفظه الله الى إتخاذ آخر جمعة من شهر رمضان للقدس ، وذلك في شهر رمضان من عام ١٣٩٩هـ ، حتى أسرعت الجمعية لتلبية هذا النداء ، وطلبت من معظم أئمة الجماعة في مناطق البحرين المختلفة ، وكذا من خطباء المنبر الحسيني بالاستجابة أمر الامام القائد بطرح القضية الفلسطينية واغتصاب اليهود لبيت المقدس وواجب المسلمين تجاه ذلك وقد استجاب لذلك العلماء والخطباء المجاهدون .

وقد ألقى رئيس جمعية التوعية الاسلامية آنذاك فضيلة الشيخ عيسى احمد قاسم دعاء بهذه المناسبة في المسجد الذي يصلي فيه في الدراز ، وقد نشر الدعاء كاملاً في مجلة المواقف البحرانية بتاريخ ١٩٧٩/٨/٢٢م ، مع صورة لسماحة امام الامة وصورة أخرى لفضيلة الشيخ عيسى قاسم والنشر تم كما يلي : الدعاء الذي ألقاه سماحة الشيخ عيسى احمد قاسم في مسجد الشيخ محسن بالدراز بمناسبة ليلة القدر وجمعة القدس التي دعا لها آية اللهالسيد الخميني :

« اللهم أخف اليهود كما أخافوا عبادك الآمنين ، اللهم انصر عبدك وابن عبدك المحامي عن دينك والمجاهد في سبيلك والمناهض لاعدائك ، المنتصر لاوليائك ، الناشر للواء شريعتك ، المحيي لسنة نبيك ، الساعي في الارض بالخير والمعروف ، والمحارب للشر والمنكر ، السيد روح الله الموسوي الخميني ، اللهم وانتصر به لدينك ، وأعزه وأعزز به أولياءك ، الذين استضعفهم الظالمون ، وتظاهروا عليهم وضايقوهم في دينهم ودنياهم ، وانتقم ممن يشيع في الارض الفساد ، ويسعى بالأذى لأهل طاعتك ، وينشر الباطل بين عبادك ، ويعادي قرآنك وسنة نبيك ، ويكيد للعاملين في سبيلك ، ويحارب أهل مودتك ، ويكون للكافرين عضدا ، وعلى المؤمنين رصدا ، ويسخر كنوز أرضك لباطله ، ويستغل عرق المؤمنين لشهواته ، مستعيناً بالحقوق المسلوبة على نشر أضاليله ، وبث سمومه ، وهدم الاخلاق التي ارتضيتها لعبادك ، وجاهد من اجلها رسلك ، وحفلت بأمرها كتبك .

اللهم انك تعلم جرأة اليهود على دينك ، وخيانتهم لرسالتك ، وتحريفهم لكتابك ، وعداوتهم لشريعتك ، التي بعثت بها خاتم انبيائك وآخر رسلك ، وكيدهم للايمان والمؤمنين من عبادك ، وانتهاكهم لحرمة المقدسات من دينك ، وتلويثهم لاولى القبلتين لدى نبيك ، ومنطلق معراجه الى سماواتك ، وما يريدونه للاسلام من الكيد ، وفي الارض من الفساد ، وما اقترفته أيديهم من القتل والترويع بغير حق ، ومن تشريد الآمنين ، ولقد أعانهم على بلوغ ما بلغوا إليه من التكبر في الارض والسيطرة بالظلم . ان امة الاسلام قد ابتليت بحكام جور جاهلين لا يهمهم من امرها

والتجار والشخصيات الاجتماعية والمقاولين وخريجي الجامعات من مهندسين واطباء واجتماعيين ، بالاضافة الى المئات من عامة الناس من الجنسين ، وعلى مدى اثني عشر عاماً أو اكثر لم يبق بيت في جزر البحرين تقريباً في المدن أو القرى إلا وشارك أحد أفراده في نشاط من أنشطة الجمعية أو يحتفظ باحد النتاجات الأدبية للمؤسسة ، وعمت مدارسها ونشاطاتها المدن والقرى والاندية ، ومع ذلك وصفتهم الاجهزة الاعلامية عند قرار مهاجمة الجمعية من قبل السلطة واعتقال ادارتها واغلاق مراكزها ،حتى الان ـ بأنهم عملاء ومأجورون وفئة تخريبية »

نعم هكذا كانت الجمعية . . وهي تمارس دورها التبليغي التوعوي ، حتى أصبحت محل تطلع الانظار ، وموقفها هو الموقف الواعي الذي ينتظره الشعب ، وقد وضح دورها جلياً بعد قيام الثورة الاسلامية المباركة في ايران الأمر الذي دفع حقد السلطة الباغية في البحرين الى التعدي عليها واعتقال علمائها وشبابها وختم ابوابها بالشمع الأحمر حتى يومنا الحاضر ».

هذه الصفحات من كتاب : القضية البحرانية وشهداؤها ـ من ص ٣٨ ـ ٤٤ ـ اصدار : المجمع العلمي للطلبة البحرانيين بقم المقدسة ، منتصف عام ١٩٨٧م .

٢ ـ قيام الصندوق الحسيني الاجتماعي :

اجتمع نفر من المؤمنين الطامحين للتغيير وقرروا انشاء « جمعية شباب الارشاد الاسلامي »التي وزعت البيان الاول لها في وفاة الامام علي (ع) في رمضان بمأتم « العريض بالمنامة عام ١٩٦٩م ، معلنة بدء مرحلة جديدة من العمل الاسلامي .

استطاعت الجمعية برغم صغر عمرها وتواضع امكاناتها ان تستوعب اعداد غفيرة ومتزايدة من الشباب . وفي عام ١٩٧٠م قدم الى البلاد سماحة السيد المدرسي ليعطي للجمعية دفعات قوية ومتنوعة .

وبعد فترة إرتأت ادارة الجمعية ان تحدث تغيراً طفيفاً في اسم الجمعية ولكنه ذا مغزى ـ على الأقل في نظر السلطة ـ فتحولت الى « جمعية الارشاد الاسلامي » بدلاً من جمعية شباب الارشاد الاسلامي » وذلك في العام ١٩٧١م .

وفي عام ١٩٧٢ تغير اسم الجمعية الى « الصندوق الحسيني »، وفي تلك الفترة حيث كانت البلاد تعيش حياة نيابية وحريات نسبية ، وامام النهوض الملحوظ في الحالة الاسلامية الجماهيرية ، وامام توسع وتنوع أنشطة الجمعية ، لجأت ادارة الجمعية الى احداث تغيير إضافي في اسمها يفتح امامها اوسع الابواب للاعمال الجماهيرية والاجتماعية والثقافية « وغيرها »، حيث اصبحت تعرف باسم « الصندوق الحسيني الاجتماعي وذلك في العام ١٩٧٥م

وقد كان شعار هذه الجمعية : (الله ـ العدل ـ الانسان)، وواضح ان هذا الشعار ذو مضامين عقائدية وسياسية واجتماعية بينة . كما يلاحظ عليه تشابهاً كبيراً مع شعار (الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين): (الله ـ الحق ـ الحرية).

ولعل هذا هو السر وراء اتهام السلطة للعشرات من اعضاء « الصندوق الحسيني » الذين اعتقلتهم في منتصف عام ١٩٨٠م اتهامها اياهم بالارتباط بالجبهة الاسلامية .

ولقد توجه اعضاء تلك الجمعية من اوائل السبعينات ، الى التركيز على المسائل والقضايا الانسانية والاجتماعية الثورية في الاسلام ، كرفض الظلم والاستغلال والطاغوت والتخلف ، واحياء فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفع الأمة للنهوض والتحرك . ويذكر من كان يعيش في البحرين في تلك الفترة كيف أن شوارع العاصمة بالذات واحياءها كانت تتزين باللافتات والاعلانات الهادفة والموجهة التي كانت تصدر من « الصندوق الحسيني » والتي كانت تصب في اتجاه تفجير طاقات الامة وتحريكها

كما انتشرت في البحرين في تلك الفترة بالذات ـ منذ اوائل السبعينات ـ العشرات من الحلقات الاسلامية « الثقافية » غير الرسمية ، التي كانت تلتقط العديد من الطاقات والكفاءات الشابة الصاعدة ، والتي كانت رديفاً مهماً للمؤسسات الاسلامية الرسمية وبالتالي للحركة الاسلامية المعاصرة نفسها .

هذا وقد أقدمت السلطة الرجعية في منتصف عام ١٩٨٠م على اغلاق الصندوق الحسيني الاجتماعي بالشمع الاحمر واعتقال ومحاكمة ومطاردة العشرات من اعضائه ومصادرة محتوياته وممتلكاته .

هكذا يكون ـ بتقديرنا ـ قد اعطينا فكرة اولية وافية حول بدايات وانطلاقة الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة بفصائلها الاساسية . ولعل واقع الاحداث التي شهدتها البلاد منذ اواخر الستينات حتى الآن يؤكد ما قررناه سلفاً :

فقد نشأت عدة تنظيمات سياسية اسلامية متناثرة في خلال

تلك الفترة الزمنية السابقة ولكنها أما قضي عليه نهائياً من خلال هجمات مخابرات السلطة ، واما لجأ الى الانصهار في الفصائل الاسلامية الرئيسية القائمة .

ففي عام ١٩٦٨م ظهر تنظيم صغير عرف باسم (جبهة التيار الثوري)، الذي كان من أبرز اعماله الكتابة الثورية على الجدران وحرق بعض سيارات ضباط المخابرات منها سيارة ضابط مخابرات باكستاني بالقرب من المخبز الشرقي بالعاصمة ، ثم تلاشى ذلك التجمع .

وقد برز تجمع اكبر منه هو (منظمة الكفاح الثوري) وذلك في عام ١٩٧٤م الذي قام بتوزيع عدة مناشير ثورية في عدة مناطق من البلاد ، وكان ذلك التنظيم ذو روحية اسلامية ثورية لكنه يفتقد الى الايديولوجية الاسلامية الناضجة .

ثم لاحقاً برزت أيضا بعض الخلايا والمنظمات الثورية الاسلامية الصغيرة ، التي سرعان ما تلاشت بفعل ضربات السلطة أو اندمجت مع التنظيمات الكبيرة الرئيسية ، مثل (حركة الوحدة الاسلامية) التي تأسست في ليلة الجمعة ١٤ شباط / فبراير ١٩٨٠ م بقيادة زعيمها المجاهد فضيلة الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني الذي هو الآن احد كوادر الجبهة الاسلامية ، مع بعض من اصدقائه في تنظيم (حركة الوحدة) بعد ضرب تنظيمهم السابق على يد المخابرات .

و (حركة الشهداء الاسلامية) التي برزت في عام ١٩٨٠م بقيادة زعيمها الشهيد الشيخ جمال الدين العصفور رحمة الله عليه ، وقد تلاشت هذه الحركة بعد أن قدم مؤسسها حياته الغالية

ليؤكد مصداقية التسمية والانطلاقة ، وقد سيق بقية اصدقائه من المشايخ والشباب المجاهدين الى غياهب السجن .

ثم برزت حركة المجاهد فضيلة الشيخ محمد علي العكري في اوائل عام ١٩٧٩م ، وذلك كردة فعل جماهيرية عفوية على انتصار الثورة الاسلامية في ايران . ورغم جرأة وصلابة ونشاط الشيخ العكري ، ألا انه سرعان ما تلاشت الحركة الجماهيرية الحاشدة التي من حوله لأنها حركة مفرطة في العفوية والارتجال .

ومن مجمل ما قدمناه سابقًا يتضح لنا مدى الخطأ والتجني والبعد عن الحقيقة التي رافقت محاولة اصحاب الكتاب المذكور (مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية) ، محاولتهم في تأريخ ورصد انطلاقة الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة حيث زعموا إنها بدأت مع إنطلاقة الحركة العفوية للشيخ العكري في فبراير ١٩٧٩م. بينما الواقع التاريخي للحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة ـ والذي قدمنا فقرات منه في الصفحات السابقة ـ يؤكد أن الانطلاقة الحقيقية بدأت منذ منتصف الستينات ، وانها لم تكن ابداً كردة فعل لانتصار الثورة الاسلامية في ايران ، رغم ما أحدثته هذه الثورة المباركة من إنعكاسات طيبة في الواقع الجماهيري والواقع الحركي للاسلاميين في البحرين وعموم العالم .

الفصل الثاني

ما هي الطائفيَّة ...
وَمَن هم الطائفيّون ؟!

(القسم الاول : اتهامات وردود)

بعد الانتصار المذهل للثورة الاسلامية في ايران ، وما رافقها وتبعها من نهوض اسلامي حماهيري ثوري عارم في عموم العالم الاسلامي وفي منطقتنا بالذات . أثيرت العديد من المسائل والقضايا الفكرية والايديولوجية والسياسية والثورية ، وحيكت الدسائس والمؤامرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وبدت مجمل الدوائر العالمية في شغل شاغل .

وسحب ذلك الوضع نفسه على مراكز الحركات الفكرية والثورية في العالم بمختلف مدارسها وتياراتها وذلك من اجل استيعاب وهضم ما جرى ويجري في أهم منطقة استراتيجية من العالم .

هل كان ذلك . الانتصار والنهوض مذهلاً ومفاجأة للعالم حقاً ؟!

نعم ، انه كان كذلك . وصاحب الكتاب المذكور يقرّنا على هذا الرأي حيث يقول : « الشريط المستمر من الاحداث كان بطله الأول هو الجماهير الشعبية ، التي أقسمت أن تطيح بأعتى نظام استبدادي متحالف مع الامبريالية العالمية ، ويتم معه تكنيس

الوجود الاميركي في كافة الميادين ، وسارت الجماهير وراء القائد والحركة التي صممت - بدون تذبذب - على اسقاط الشاه ، مستخدمة كافة أشكال التعبئة للجماهير ، بهدف الوصول الى ما تريد ، في الوقت الذي طرحت القوى السياسية الاخرى شعارات دون تلك بمراحل ، وفي الوقت الذي كانت الدول الأساسية في العالم (الامبريالية منها والاشتراكية) لا ترى امكانية سقوط هذه القلعة الرجعية ». (ص ١٧٤).

وكيف كان الوضع بالنسبة للقوى الوطنية في البحرين ، في المنطقة القريبة جداً من الحدث والتي تفاعلت معه بشكل سريع وكبير جداً ؟ يقول في الكتاب مجيباً : « وكانت الحركة الوطنية في حالة إنصات ووجوم غير مصدقة ما جرى وما حصل في ايران ، وغير قادرة على التقاط انفاسها من جراء الضربات الكبيرة التي سددها النظام اليها خلال السنوات الاربع الماضية وكان من الضروري تحليل الوضع بدقة ومعرفة اتجاهاته ، ووضع البرامج الكفيلة للنضال وسط الظروف والمعطيات الجديدة (ص ٨٨)

والآن دعنا نتعمق ببعض التساؤلات المكملة الضرورية ، والتي تعتبر في مجملها تمهيداً لموضوعنا الرئيسي (حول الطائفية). بادىء ذي بدء ، نتساءل :

اين موقع الحركة الوطنية بمختلف فصائلها من العمق الشعبي والجماهيري ؟ ما مدى فهمها والتحامها بتاريخ وتراث وعقائد ونضال شعبها؟ وهل استطاعت ان تكون بديلاً للحركة الاسلامية ؟

نحن لن نجيب من انفسنا حتى لا نتهم بالتجني على

احد ، وانما سنترك الكتاب المـذكور يجيب حيث ورد بـه : « ومن جهة اخرى فإن حركتنا السياسية القومية منها والشيـوعية واليسـارية لم تتمكن جيداً من غرس نفسهـا وسط الجماهيـر المسحوقـة انها تعرف عن تاريخ الغرب الرأسمالي ، وتـاريخ الحـركة الاشتـراكية العـالمية ، وتـاريخ ونضـالات الشعوب في روسيـا والصين وفيتنام (مع ضرورة وأهمية ذلك) اكثر مما تعرف عن تاريخهـا ونضالات شعبهـا وبطولاتـه الممتـدة عبـر القـرون المـاضيـة والتي لا يمكن فصلها عن التاريخ الاسلامي برمته .

هل يمكن للحركة القوميـة ان تكون نقيضـاً لها أي للحـركة الاسـلامية مثـلاً ، وهل يمكن لليسـار ان يضـع نفسـه بـديـلاً عن الحركة الاسلامية اذا كان كلًا من الحركة القومية واليسـار تتحدث بـرطانـة لا تفهمها الجمـاهيـر ، وتـريـد أن تقيم سـداً بينهـا وبين الشعوب الاسلامية الأخرى ، أو تريد أن تسلخ واقعهـا الممتد الى أعماق التاريخ لتلحقه بحركة الثورة العالمية .(ص ٢١ ـ ١٣٢).

واستطراداً لحالـة الاغتراب التي كـانت تلف القوى الـوطنية وعمق الجهل والعزلة التي تعيشها ماضياً وحاضراً ، فانه بمجرد ان رأت النهوض الاسلامي الجماهيري ماذا حل بها ؟!

يجيب صاحب الكتاب : « ولا شك ان هذا الصعود (يقصد في التيـار الاسلامي) قـد أثار الكثيـر من الجدل ، بـل والاربـاك وسط الحركة التقدمية ـ القومية والشيـوعية والـديمقراطيـة ». (ص ٦).

ثم يعـود ليؤكد مـرة أخرى على هـذه الحالـة وسط الحركـة الـوطنية البحـرانية منـذ أن دعت المعارضـة الاسلاميـة للمسيرات

والتظاهرات وتصدت لقيادتها ، فيقول : « وساد الاضطراب في صفوف المعارضة الوطنية . فقد استغرب البعض موقف السلطة المتراخي الذي عبر في جوهره عن الاضطراب الشديد الذي ساد صفوفها ، بينما رأى فيه البعض الآخر تكتيكاً لتكشف المعارضة عن أوراقها وجماهيريتها ليوجه اليها النظام ضربة شديدة وقاضية » (ص ٩١).

لذا فقد شارك البعض « ببعض قواه » على حد تعبيره بينما لم يشارك الآخرون « بل أرادت أن تستر عجزها وعورتها باثارة الشكوك حول الداعين للمسيرة . . وحول المسيرة ذاتها !!». (ص ٩٢).

« بل وضد التحرك الجماهيري بحجة أن أي تحرك شعبي سيستثمره الدينيون ، وان الحركة الوطنية لن تكسب شيئاً من وراء هذه التحركات ». (ص ٩٢) .

هذا هو واقع وحال القوى الوطنية في فترة السنوات الاخيرة ، فترة النهوض الاسلامي ، وذلك من حيث حجمها الجماهيري وجذورها وسط الشعب ، ومن حيث فهمها واستيعابها لتاريخ ونضالات وعقائد شعبها الممتدة عبر القرون الماضية ، ومن حيث تذبذباتها وتناقضاتها الفكرية والسياسية والعملية في فهم الحالة الاسلامية المعاصرة ونضالاتها والتعاطي معها كل ذلك على لسان اقطاب الحركة الوطنية نفسها .

فهل يمكن للمرء ان يتوقع ان يحصل على معالجات موضوعية سليمة لكثير من القضايا والظواهر التي افرزتها الحالة الاسلامية المعاصرة سواء على الصعيد المحلي أو العالمي من

قبل القوى الوطنية نفسها ؟!

لقد وقفنا في الفصل الاول على مدى التخبط والتشويش الذي وقع فيه اصحاب الكتاب المذكور حينما حاولوا أن يؤرخوا للحركة الاسلامية المعاصرة . وفي هذه القضية التي نحن بصددها ـ الطائفية ـ وفي القضايا اللاحقة مثل تصوراتهم لمواجهة خطر الطائفية وموقفهم من علماء الدين وما الصقوه بهم من تهم واباطيل وغيرها من قضايا ، سنرى ان تخبطهم وشططهم أشد وانكى .

والآن سنستعرض أهم الفقرات والمواقف في ذلك الكتاب المذكور والتي وردت بخصوص مسألة الطائفية وموقف الحركة الاسلامية عموماً والحركة الاسلامية البحرانية خاصة من هذه المسألة المهمة ، لنرى كيف عالج أصحاب ذلك الكتاب هذا الأمر ، هل هو على النحو الموضوعي العلمي النزيه ذي الروح الايجابية العالية الحريصة قولاً وواقعاً على مصلحة النضال ووحدته ضد الاستبداد والعمالة ، أم أن الأمر غير ذلك اساساً ، حيث تتحكم روح الجهل والعداء والتحامل والمساهمة ـ بوعي أو بدون وعي ـ في تمزيق شمل الصف الثوري والشعبي المعادي للظلم والطغيان والعمالة !!

إن الاستشهاد بهذه الفقرات القادمة والطويلة نسبياً ، ومناقشتها بشكل موجز ومركز يكتسب اهميته من هذا الجانب بالذات :

١ ـ يقول صاحب الكتاب : « وبالرغم من الجهود الايرانية الرامية الى فتح القنوات على كل القوى الدينية (يقصد السنية

والشيعية)المعادية للامبريالية الامريكية أو تلك التي تلتقي معها في بعض المحطات السياسية ، إلاّ أن السمة الاساسية للقوى الدينية المعادية للامبريالية والمؤيدة لايران هي وقوفها على أرضية المذهب الشيعي بالدرجة الاساسية ». (ص ٩) .

نلاحظ على هذا النص ما يلي :

أ ـ أنه يتضمن اعتراف صريح بان ايران لم يكن توجهها طائفياً ، بل انها سعت الى فتح الابواب امام كل الحركات الاسلامية بمختلف توجهاتها ومذاهبها .

ب ـ هل فعلاً أن السمة الأساسية للقوى الدينية المعادية للامبريالية والمؤيدة لايران هي وقوفها على ارضية المذهب الشيعي بالدرجة الاساسية » ؟! إذن ماذا يمكن ان يقول الكاتب عن الحركات الاسلامية الموجودة في كل البلدان الاسلامية تقريباً : المغرب وتونس والجزائر ومصر وفلسطين والسودان وافغانستان وماليزيا وباكستان واندونيسيا والفلبين وغيرها ، وجميعها حركات اسلامية ثورية سنية معادية للامبريالية ومؤيدة لايران . هل يجهل الكاتب ذلك الواقع أم يتجاهله ، أم ماذا ؟!!

٢ ـ « وكان واضحاً لدينا ان هناك أناساً ضيقي أفق من بين رجال الدين (السنة والشيعة) الذين لا يفسرون الاحداث إلا على أسس طائفية . لذا فان هذه العناصر هي رصيد للنظام أياً كان الموقف الحالي الذي تقفه ، خاصة اذا أمعنّا النظر في العلاقات المشبوهة التي تربط زعماء نادي الاصلاح أو جمعية التوعية الاسلامية بكبار المسؤولين في البلاد وبالرجعية السعودية ». (ص ٧٢)

نلاحظ على هذا النص ما يلي :

أ ـ من أين وقف أصحاب الكتاب المذكور على آراء وتفسيرات رجال الدين اولئك عن تلك الاحداث وعرفوا عنها إنها « طائفية » أم أنهم أصبح في عرفهم انه يكفي توجيه اية تهمة والصاق كل شيء قبيح برجال الدين وبمؤسسات الحركة الاسلامية لتصبح تلك التهم والاباطيل حقيقة بديهية فوق كل نقاش وكل دليل وبرهان !!

ب ـ كيف يسمح اصحاب ذلك الكتاب لانفسهم ان يتهموا « جمعية التوعية الاسلامية » بالعمالة للسلطة والرجعية السعودية ، في الوقت الذي كانت تلك الجمعية أحد المراكز الثقافية والاجتماعية الحساسة والكبيرة التابعة للحركة الاسلامية المجاهدة ، والتي بسبب تعاظم دورها وخطورتها على السلطة اضطرت الى الهجوم عليها واغلاقها بالشمع الأحمر واقتياد رئيسها فضيلة الشيخ المجاهد ابراهيم منصور الجفيري هو ومجموعة كبيرة من خيرة علماء وكوادر وشباب الحركة الاسلامية ، الى غياهب السجون حيث تعرضوا الى صنوف رهيبة من التعذيب شارف العديد منهم على الاستشهاد وحكمت عليهم المخابرات بسبع سنوات سجناً بينما مطلق هذه الاتهامات والافتراءات كتبها ووزعها وهو على طاولة مريحة بعيدة عن متناول السلطة وسطوتها ، كيف يسمح بذلك اناس زعموا أنهم دائماً حريصون على وحدة الصف الوطني والشعبي في مواجهة السلطة الاستبدادية !!

حـ ـ لذا فان هذه العناصر هي رصيد للنظام أياً كان الموقف الحالي الذي تقفه ».

وهذه المقولة ، هل هي من الحقائق المطلقة ، الثابتة في الماركسية ولدى الشيوعيين ، ام انها في مجرى الصيرورة والتغير في الجدل الديالكتيكي !! أي الموقفين نستطيع ان نأخذ بهما ؟!

لا شك أن اصحاب الكتاب قد اتخذوا الموقف الأول ولا تدري ماإذا كانوا قد أبدعوا شيئاً جديداً في نظرية المعرفة الماركسية . وهذا لا يختص بهذه الفقرة فقط وانما من يستعرض كتابهم يرى هذا الموقف يتكرر باستمرار وباشكال شتى سوف نتوقف عند بعضها لاحقاً .

« مساكين » علماء الدين « ضيقي الأفق » « الطائفيون » ، ومنهم زعماء جمعية التوعية حتى لو قدموا حياتهم واجسادهم النحيفة طعمة رخيصة لسياط الجلادين في القلعة في سبيل كرامة بلدهم وامتهم فانهم فوق ذلك و « أياً كان موقفهم الحالي من النظام فهم رصيد له »!!

٣ ـ « واذا كان للحركة الدينية المذكورة فضل في اشراك قطاعات واسعة من الشعب في صفوف المعارضة إلا أن لهذه الايجابية جانبها السلبي ، حيث زُيِّفت الوعي الطبقي ، أو بتعبير أدق ، بنت على الوعي الطائفي السائد لدى القطاعات المحرومة من الشيعة مطالبها السياسية ، مما أسهم في الفرز الطائفي ، وجعل السلطة توجه المزيد من السهام لتمزيق الشعب ». (ص ١٦) .

نلاحظ على هذاالنص الملاحظات التالية :

أ ـ نحن نعتقد أن عبارة « الوعي الطائفي » هنا غير دقيقة وغير صائبة . بمعنى انه لا يوجد هناك وعي طائفي مقولب

وواضح ومحدد بالرغم من محاولات السلطة مؤخراً تأجيج النزعة الطائفية في المجتمع صحيح ان مجتمعنا منقسم الى طائفتين ، ولكنه لا يوجد في مجتمعنا ذلك« الجدار »الاجتماعي الفاصل بين الطائفتين ، لا توجد تلك العزلة الطائفية ، ولا يوجد، ذلك التصادم والعداء الطائفي أو الصراع الطائفي بل على العكس من ذلك تماماً . فهناك روح التسامح والمرونة والاختلاط والاخوة والمحبة والمصالح المتشابكة والمتبادلة والآلام والتطلعات المشتركة . وبالتالي فإنا لا نستسيغ عبارة « الوعي الطائفي »، اي لا نستطيع الذهاب في الموافقة على مثل هذا الطرح والزعم .

ب ـ ما الموجود اذن ؟ ما هو الوعي الذي بنت عليه الحركة الدينية المذكورة والسائد في اوساط الطائفة الشيعية ، مطالبها السياسية ؟

انه وعي عام بوجود الظلم والفساد والانحراف وغياب العدالة والحرية والكرامة ، وعي عام بوجود ظالمين وطغاة ومستبدين ومفسدين وعملاء للأجنبي . وجود عداء تاريخي ومستمر ضد الطغمة الحاكمة ، وذلك لا لكونهم « سنة » وانما لكونهم ظلمة وطغات ومستبدين ومنحرفين وجميع تلك الامور مفاهيم اسلامية عامة ، ومن صلب روح الاسلام وتعاليمه وبالتالي فهو وعي اسلامي عام .

وعلى اساس ذلك الوعي الاسلامي العام [وليس الوعي الطائفي الموهوم والمزعوم ضيق الافق الذي حاول كاتب الكتاب أن يوهم القارىء به ليخلص الى نتيجته المرتبة سلفاً] وعلى أساس ذلك الوعي بنت الحركة الاسلامية مطالبها السياسية المعروفة والبعيدة كل البعد عن الروح والنزعة والمفاهيم الطائفية

الضيقة والمرفوضة . هـذه المطالب التي تمثـل اهمها في اسقـاط السلطة الاستبدادية العملية وتطهيـر البلاد من التـواجد العسكـري والسياسي الاستعماري ، واطلاق الحريات العامة ، واقامة حكومة شعبية عادلة عبر استفتاء الارادة الشعبية الحرة .

وعلى هذا الاساس هـل يمكن الزعم بـأن هذه المـطالب ، مـطالب سياسيـة بنيت على « الوعي الـطائفي » لـدى القـطاعـات المحرومة من الشيعة ، وبالتـالي أسهمت هذه المـطالب في الفرز الطائفي وزيفت « الوعي الطبقي » !!

٤ ـ « بعـد انتصار الثـورة الايرانيـة ، دعا رجـال الـدين في البحرين الى مظاهرة تأييد للثورة الايـرانية والثـورة الفلسطينيـة وقد لبت الجمـاهير هـذه الدعـوة . . . ولم تنـظر الجمـاهيـر الى هـذه المظاهرة على انها طائفية ، بل على انها وطنية ومعـادية للسلطة ، ومع الثورة الايرانية من حيث انها : أسقطت اكبر صنم للامبرياليـة في منطقة الخليج » . (ص ٦٩ ـ ٧٠) .

وشهـد شاهـد من أهلها . ان هـذه الفقرة بـالضبط ، وهذا الحـدث كمثال هـو خير دليـل على ما أسلفنـا من أن هنـاك وعيـاً اسلامياً عاماً ، وليس وعياً « طائفياً » ضيقاً .

٥ ـ ثم شهد مرةأخرى وبشكل أفصح ، فقال :

« وكـانت المعارضـة الدينيـة واضحـة في بـرنـامجهـا حيث أكدت في بيانهـا الثاني أنهـا مع وحـدة الشعب وعروبـة البلاد ولا تفرق بين سني وشيعي ، وجاءت بيانات أخـرى للمعارضـة السنية لتؤكـد أن الشيعـة والسنـة يقفـون في خنـدق واحـد ضـد الـطغـاة والخونة ، ومن أجل حقوقهم المشتركة » . (ص ٩٨) .

٦ ـ « وكان المأزق الذي انحشرت فيه هذه الحركات انها تستند على قسم من السكان ، وليس على طبقة اجتماعية مما أوجد صعوبات متزايدة امام عملها السياسي ، خاصة بعد ان ضاعفت الانظمة الرجعية والاستبدادية من قمعها وتعبئتها الطائفية ». (ص ٩).

نلاحظ على هذا النص الملاحظات الآتية :

أ ـ نلاحظ على هذا النص والنصوص الاخرى التي سنستشهد بها لاحقاً انها تتهم الفصائل الاسلامية الشيعية بالانكفاء الطائفي وبالتالي بالعمل الطائفي . وقد يخدع المراقب الخارجي وبالذات أولئك الذين ليس لهم معرفة أو مزيد من المعرفة بوضعية البحرين الديموغرافية والاجتماعية والسياسية ، بهذه المقولات خاصة وانها تصدر من فصيل وطني يساري حرص دائماً على ان يقدم نفسه مدافعاً عن قضايا الشعب والبلاد الأساسية .

ب ـ « هذه الحركات تستند على قسم من السكان ، وليس على طبقة اجتماعية ».

ماذا يفهم القارىء الكريم من هذه العبارة !! أليست الطبقة الاجتماعية قسم من السكان ؟! أم أنها كل السكان يا ترى ؟! اذن حتى الحركات اليسارية التي تستند على « طبقة اجتماعية » هي بالنتيجة تستند على قسم من السكان وليس على مجموع السكان .

ثم هذا القسم من السكان ، وهم الطائفة الشيعية ، هل هم الأقلية أم الاغلبية ؟! مما لا جدال فيه هم الاغلبية . وما نسبتهم الى السكان بالتقريب ؟! على احسن التقديرات المتسامحة هم

في حدود ٧٠ ٪ أو أكثر .

اذن هذه الحركات تستند على اغلبية سكانية واضحة وكبيرة (وليس على قسم من السكان) ؛ واستطاعت هذه الحركات ان تعبىء وتستنهض الغالبية الساحقة من هذه الاغلبية السكانية كما سنرى وتزج بها في مواجهة الاستبداد والعملاء ، لا لمصلحة طائفية ضيقة وتافهة ، وانما في سبيل المصلحة الوطنية والشعبية العامة .

ح ـ ما نسبة الطبقة العاملة الى السكان ؟!

بالتأكيد هي اقل بكثير من نسبة الطائفة الشيعية الى السكان وهي على احسن التقديرات في حدود ٢٠ ٪ ، علماً بأن نسبة الاجانب ٤٣٪ من مجموع القوى الفاعلة المنتجة وذلك حسب احصاءات الدولة لعام ٨١م وما قدرة أصحاب الكتاب المذكور وسط الطبقة العاملة ؟! بالتأكيد هي أقل بكثير جداً من قدرة الحركات الاسلامية وسط هذا (القسم من السكان) الذين نستند اليهم . اذن من هو الذي يستند على الاغلبية الشعبية ممن هو يحاول ان يستند على الاقلية !!. هذا ناهيك عن ان الطبقة العاملة محصورة في المعامل والمصانع ، بينما هذا القسم من السكان له انتشار عمودي وأفقي عميق في جميع مرافق الدولة والمجتمع ، ويشمل جميع الفئات والطبقات الاجتماعية بما فيها الطبقة العاملة .

طبعاً لا يجب ان يفهم من كلامنا هذا ، على ان الحركة الاسلامية تزدري الطبقة العاملة أو تزدري العمل السياسي وسط هذه الطبقة الاجتماعية . فذلك ابعد ما يكون من روح ومنهج

وعمل الحركات الاسلامية . ولكننا احببنا ان نناقش هذه التهمة من عدة زوايا لنبين مدى تهافتها .

د ـ يزعم الكاتب « ان الحركة الاسلامية استندت على قسم من السكان ، وليس على طبقة اجتماعية مما أوجد صعوبات متزايدة امام عملها السياسي ».

نحن نتساءل : ألا يشكو اليسار عموماًمن صعوبات متزايدة أمام عمله السياسي في البلاد رغم محاولته الاستناد الى طبقة اجتماعية ؟ ! . ألا يعاني اليسار مثلاً من تباطؤ شديد في عمله التنظيمي والسياسي والتعبوي وسط العمال ؟ ! هل يستطيع اليساران يزعم انه تحول الى تنظيم عمالي ، أو على الاقل انه يملك تنظيماً عمالياً جماهيرياً واسعاً وسط العمال ، رغم انه قد مضى عليه في العمل التنظيمي والسياسي اكثر من ثلاثة عقود من الزمن ؟!

هل ترجع تلك الصعوبات المتزايدة امام عمل اليسار السياسي الى أنه حاول الاستناد الى طبقة اجتماعية ؟!أم ان عوامل وظروفاً متعددة هي التي تساهم في ايجاد تلك الصعوبات ؟؟

لا شك ان ظروف القمع والارهاب ومصادرة الحريات بجميع أشكالها ، وصغر مساحة البلاد وسكانها وسيطرة السلطة عليها سيطرة مركزية خانقة وبالذات اجهزة القمع . . . الخ هذه وغيرها من الظروف والعوامل ـ برأينا ـ هي التي توجد صعوبات متزايدة امام عمل القوى السياسية وليست استنادها الى اغلبية سكانية أو الى طبقة اجتماعية

٧ ـ « فان هذه الحركة ـ يقصد الحركة الاسلامية المعاصرة ـ لم تكن مؤهلة لحل معضلة عجزت عنها قيادة تاريخية اكبر منها ـ في ايران ـ وهي : وحدة المسلمين ، او اعادة اصطفافهم على اسس جديدة لا تستلهم الماضي بالدرجة الاساسية ، وانما تقدم حلولاً مقبولة للواقع ، وآفاقاً مشرقة للمستقبل ، قادرة على استثارة كل المسلمين المضطهدين ، وليس فقط جماهير الشيعة المسحقة .

« هكذا سقطت الجبهة الاسلامية في الواقع الطائفي ـ بغض النظر عن نياتها الكفاحية العالية وطموحها لتثوير كل المسلمين ـ ووجدت تربتها الخصبة وسط الجماهير الشيعية المسحوقة ، واستخدمت المناسبات والمؤسسات الدينية التي لم تخرجها عن الطائفة ، مما عزلها عن جماهير الطائفة الأخرى ». (ص ٢٠٠).

لنا على هذا النص ملاحظات عديدة :

أ ـ هل ان المهمة المركزية اليوم امام ايران وامام الحركة الاسلامية المعاصرة هي وحدة المسلمين ؟!

برأينا ان تلك ليست هي المهمة المركزية . نعم انها مهمة عملية تقتضيها ظروف مواجهة قوى الاستكبار . ولكن ما هو مفهوم الوحدة الاسلامية ، وما هي مستوياتها وكيف يمكن الوصول اليها ؟ بالتأكيد لا نستطيع الزعم بان وحدة المسلمين تعني ايران لوحدها ، وبالتالي ونظراً لعدم تحققها الآن فهذا يعني السقوط التاريخي لايران وبالتالي ـ كاستنتاج منطقي جداً لصاحب الكتاب المذكور سقوط الحركة الاسلامية البحرانية بشكل آلي

ومسبق ـ هكذا « لأن قيادة تاريخية اكبر منها قد سقطت في تحقيق وحدة المسلمين !!

ب ـ هل استطاعت ايران ان تعيد اصطفاف المسلمين على اسس جديدة لا تستلهم الماضي بالدرجة الاساسية ، وانما تقدم حلولاً مقبولة للواقع ، وآفاقاً مشرقة للمستقبل ، قادرة على استثارة كل المسلمين المضطهدين ، وليس فقط جماهير الشيعة المسحوقة » ؟!

نعم نستطيع ان نؤكد أن الثورة الاسلامية في ايران وبالتالي الحركة الاسلامية البحرانية وغيرها استطاعت أن تعيد لحياة الأمة الاسلامية وضميرها مفاهيم الاسلام الاساسية حول : الثورة والجهاد ورفض الظلم ومقاومة الطغيان والاستبداد ، وعشق الاستقلال والحرية والتحرر من عبودية القوى الكبرى والاجنبي وضرورة اعادة صياغة وبناء حياة الامة الاسلامية من جميع نواحيها على اسس الاسلام السليمة .

لقد استطاعت ايران ومعها سائر الحركات الاسلامية ان تبث روح الثورة والتحرك وان تستنهض الاغلبية الساحقة من جماهير الشعوب الاسلامية المختلفة وليّس فقط جماهير الشيعة المسحوقة . ورغم المؤامرات الهائلة والمتنوعة عالمياً واقليمياً ومحلياً ضد ايران وسائر الحركات الاسلامية ألاّ انها استطاعت الثبات والاستقامة والتقدم بثبات وسط اجواء العداء والحرب المختلفة المستعر أُوارها من كل مكان . فهل يمكن بعد ذلك ان نقول بجرة قلم ان « ايران وهذه الحركة قد فشلت تاريخياً . . . !!» .

حـ ـ « هكذا سقطت الجبهة الاسلامية في الواقع الطائفي » لماذا يا ترى !! لأنها « وجدت تربتها الخصبة وسط الجماهير الشيعية المسحوقة » .

اذا كان الكاتب قد استخدم في البداية اسلوباً عاماً ، واسقط الحركة الاسلامية البحرانية لأنه اسقط قيادة اكبر منها تاريخياً وهي ايران ، فانه هنا يلجأ الى الهجوم المباشر والسافر وبدون مقدمات : هكذا سقطت الجبهة الاسلامية في الواقع الطائفي . . . الخ

ومن هذه الفقرة يبدأ الكاتب سلسلة من التخرصات المباشرة ضد فصائل الحركة الاسلامية التي يقاتلها النظام الاستبدادي بشراسة وخاصة الجبهة الاسلامية ، كما سنرى لاحقاً .

وهنا نتساءل هل يمكن أن ننعت الجبهة الاسلامية أو الفصائل الاسلامية الاخرى بالطائفية ، لا لشيء إلّا لأنها« وجدت تربتها الخصبة وسط جماهير الشيعة المسحوقة » ؟!

هل تنطلق هذه الفصائل من تعبئة طائفية ضيقة خاصة ، أم من تعبئة اسلامية عامة ؟

هل مطالبها السياسية ، مطالب طائفية ضيقة مؤسسة على « وعي طائفي »أم أن مطالبها السياسية مطالب اسلامية ووطنية عامة مبنية على وعي اسلامي شعبي عام ؟

هل دعايتها السياسية وتشهيرها السياسي وبرامجها التعبوية طائفية ضيقة ، أم أن توجهها وطني عام ؟

ثم لماذا وجدت هذه الفصائل تربتها الخصبة وسط جماهير الشيعة المسحوقة ؟!

للاجابة على ذلك لا بد من معرفة وضعية هذه الجماهير الشيعية المسحوقة ومدى امكانيات تفاعلها مع العمل الثوري .

يقول صاحب الكتاب المذكور : « سرت موجة من الانتعاش وسط الجماهير الشعبية بانتصار الامام الخميني الذي تمكن من دك قلعة من قلاع الامبريالية الامريكية في العالم الثالث وامتزج الايمان بالدين والمذهب بالحقد والكراهية التاريخية ضد آل خليفة ، واستعاد الآلاف من الناس في القرى تلك المظالم البشعة التي مارسها أقزام الاسرة الحاكمة ضدهم على امتداد العقود الماضية .

لقد سرت موجة ثورية وسط هذه الجماهير وكانت مستعدة بالتالي ان تلبي أي نداءات جريئة يوجهها رجال الدين الراديكاليون أو الحركات السرية الدينية الشيعية للتعبير عن هذا الحقد والغضب التاريخي المشروع .

لقد شهدنا تثويراً كبيراً للطائفة الشيعية خلال العام والنصف جعل النضال ضد السلطة يتقدم الى الامام وسط السلبيات والايجابيات التي رافقت العمل الوطني المعادي بمجموعه للنظام . (ص ٣٦ - ١٣٧) .

ونعتقد ان تلك الصورة التي قدمها الكاتب لحالة الجماهير الشيعية ومدى تفاعلها مع العمل الثوري ، فيها الكفاية لكي تجد فصائل الحركة الاسلامية الشيعية ومنها الجبهة الاسلامية ، المبررات المشروعة والدواعي الصحيحة لكي تستثمر تلك الحالة الثورية الجماهيرية الى اقصى الحدود وبالتالي تدفع « العمل

الوطني المعادي بمجموعه للنظام » خطوات الى الامام . وهذا من باب تكتيكات العمل الثوري السليم والناجح وليس من باب « السقوط في الواقع الطائفي » كما حاول ان يوهمنا الكاتب .

والآن نتساءل لماذا لم تكن جماهير الطائفة السنية أرضاًخصبة للعمل الثوري ؟؟

نعتقد ان هناك طائفة من الاسباب التاريخية والاجتماعية والنفسية ولكن يأتي في مقدمة هذه الاسباب والعوامل اجراءات السلطة وتكتيكاتها وامكانياتها التي كانت تهدف الى تحييد وعزل الطائفة السنية عن مجرى الصراع . يقول كاتب الكتاب المذكور :

« بعد ان عاد التوازن النسبي للجهاز الخاص وسيده هندرسون بعد الهزة العنيفة التي أصيب بها عقب انتصار الثورة الايرانية بدأ يرتب حساباته ، وهوالبريطاني العريق الذي تدرب جيداً على استخدام تكتيك فرق تسد ، وبدأ يرسم الخطط لتعميق التفرقة الطائفية . أو بشكل أدق لشل مساهمة الطائفة السنية في النضالات التي تجري في البلاد بمختلف الوسائل . . . وجند النظام كافة امكانياته لهذه الغاية ويمكننا أن نعدد أمثلة على ذلك ويمكن للمواطن أن يستعيد شريطاً من الاشاعات والاحداث الأخرى للدلالة على ذلك » . (ص ١٣٨) .

ثم يسترسل الكاتب في سرد نماذج عديدة من الامثلة المتنوعة على طائفية النظام وعلى سعيه الحثيث لتأجيج النزعة الطائفية . ويبدو لنا ان لدى النظام قناعة كافية بأن ما هو موجود بين الطائفتين من ألفة ومودة كبيرة لا يستطيع بسهولة ان يحولها الى نزاع والى صراع طائفي ، ولكن كان هدفه الاساسي منصبّاً على تحييد

الجماهير السنية أولاً ، ثم الى تحويلها الى عمق اجتماعي للنظام . وهذه الخطوة الثانية نعتقد أنها بعيدة جداً على النظام حيث انها تتطلب اجراء تغييرات أساسية في حياة المواطن السني : معيشياً واقتصادياً وسياسياً (على نطاق الحريات العامة والمشاركة السياسية والشخصية الاعتبارية المحترمة)وغيرها من التغييرات الأساسية التي لا طاقة للنظام الاستبدادي العشائري على اجرائها أو تحملها .

وقد نجح النظام نجاحاً ملحوظاً في تحقيق هذا الهدف ، مستفيداً من تجنيد كافة امكانياته . وكان طبيعياً ان المقارنة بين فصائل الحركة الاسلامية عموماً وبين النظام في القدرة على الوصول للطائفة السنية لتثويرها وزجها في ميدان الصراع أو تحييدها ، ان ميزان القوى يرجح لصالح النظام بالنظر الى امكانياته كسلطة ممتدة عبر قرنين من الزمان ومستفيداً من كل طاقات وامكانيات الدولة واجهزتها وثرواتها ، وبالمقابل مواجهة الحركة الاسلامية بأشرس واشد صنوف الارهاب والقمع وسد معظم أبواب العمل الاسلامي العلني وتصفية جميع المراكز الاسلامية وتوالي حملات القمع والاعتقالات طيلة السنوات الماضية وبوتيرة تصاعدية عنيفة . ان كل ذلك حال دون امكانية استنهاض الطائفة الاخرى أو الوصول اليها بشكل طبيعي وسليم وواسع ، هذا بالرغم من المحاولات التي بذلت ولا زالت والتي رافقها كثير من التضحيات في محاولة كسر معادلة النظام الطائفية ، وذلك قبل ان يتفضل علينا الكاتب بالاتهامات والافتراءات التي تصب في نهاية المطاف في طاحونة النظام وخططه الطائفية بوعي أو بدون وعي .

٨ ـ « وفي هذه المرحلة نعتقد بأن على الجميع مسؤولية

كبيرة في مواجهة المشاريع الطائفية فالحركة الاسلامية في بلادنا لن تكون ثورية حقاً اذا لم ترتفع الى مستوى المسؤولية واذا لم تسم على سلبيات الارث التاريخي وتتمسك بالايجابيات ، فالطاغوت ليس سنياً أو شيعياً بل هو المستعمر الاميريكي وعملاؤه من خليفة والعريض وحبيب قاسم وابراهيم عبد الكريم كلهم يرضعون من حليب الامريكان وكلهم يواجهون الشعب بالرصاص وبالوعود الفارغة » .

«ولا يمكن للحركة الاسلامية التي تريد تحرير البحرين ان تعتبر هذه المسألة قضية تقع على عاتق الشيعة وحدهم أو تتصور بأن تصعيد النضال وسطهم سيقود الى التحرير الشامل للجميع ، بل ان اشراك السنة في كافة النشاطات للحركة الاسلامية سيبعد النزعة الطائفية عن هذه الحركة ويجعلها تلعب دورها وسط الحركة الوطنية بشكل ايجابي كبير». (ص ١٤١) .

لنا عدة ملاحظات على هذا النص اهمها ما يلي :

أ ـ هل من المسئولية الكبيرة التي تقع على الجميع ومنهم اصحاب ذلك الكتاب المذكور ، ان يكيلوا التهم والافتراءات على فصائل الحركة الاسلامية المجاهدة وعلماء الدين رموز هذه الحركة ؟!!. فرجل الدين هذا عميل ، وذاك ارستقراطي متخم يغني للعمالة ، وهذا الفصيل طائفي ، وذاك يتلقى مساعدته من الرجعية السعودية !!

هل هذه هي الثورية والسمو على سلبيات الارث التاريخي ؟!!

ب ـ « فالطاغوت ليس سنياً أو شيعياً بل هو . . . »، هل قال

أحد في الحركة الاسلامية أن الطاغوت سني أو شيعي ومارس التعبئة الجماهيرية والتشهير السياسي على ذلك الاساس !! ألم تبادر الحركة الاسلامية الى فضح رجالات النظام ووزرائه سواء كانوا شيعة أم سنة !!.

حـ ـ انه لمن نافل القول ان نعود ونكرر ان قضية تحرير البلاد ، قضية وطنية واسلامية عامة تقع مسئوليتها على جميع المواطنين الشرفاء بلا استثناء ، وانما كانت هناك ظروف ساعدة على تصعيد العمل الثوري وسط الشيعة ، كما كانت هناك ظروف وأسباب حالت دون ذلك وسط السنة .

د ـ اشتراك السنة في كافة النشاطات للحركة الاسلامية ، ان اطلاق العبارة بهذا الشكل أمر يبعث على الرثاء لمن أطلقها ، . هل هو جهل بحالة البلاد ، أم جهل بنشاطات الحركة الاسلامية ، أم ماذا ؟!

فلأن كانت النشاطات سرية فهو أولاً لا يعلم مدى المشاركة ان حصلت . وان لم تحصل فقد أوضحنا الظروف والملابسات التي تساعد أو تعيق العمل الثوري وسط كل من الطائفتين .

ثانياً وان كانت النشاطات علنية وعامة (وهو القلة القليلة التي سمحت به السلطة الاستبدادية) فالمشاركة فيها طوعية الدعوة لها عامة . ولكن ظروف البلد الارهابية وتعبئة السلطة الطائفية قد لا تسمح بالمشاركة . إن كلمة اشراك السنة في كافة النشاطات . . . توحي بأنه يريد ان يقول ان الحركة الاسلامية هي التي تحجر على مثل هذه المشاركة ، فهل يعقل ذلك يا ترى !!

هـ ـ « أو تتصور بأن تصعيد النضال وسطهم ـ يقصد الشيعة ـ

سيقود الى التحرير الشامل للجميع ». وهنا نحب أن نوضح عدة نقاط رئيسية :

١ ـ ان الحركة الاسلامية حينما نهضت بمسئولياتها لم تنطلق من مفهوم الربح والخسارة الضيق ، مفهوم النصر أو الهزيمة بحد ذاته .

٢ ـ وانما انطلقت من باب أداء الواجب الشرعي . ويبقى النصر أو الهزيمة مسألة لا يمكن تقريرها سلفاً قبل النضال ، بل حتى في مجرى النضال ، بل أحياناً كثيرة حتى قبل أو أثناء لحظة الانتصار .

٣ ـ في العمل الثوري لا يمكن الجزم والقطع بأن العمل الثوري القائم على أغلبية السكان (أو كما يصوره الكاتب « قسم من السكان »)، لا يمكن الجزم بفشله تماماً ، كما لا يمكن بالمقابل الجزم والقطع بقدرته على تحقيق النصر للجميع .

٤ ـ ولكن حينما يكون لديك القسم الاغلب من السكان في حالة نهوض وانتعاش ثوري ، والقسم الآخر وخاصة وهو الأقل في حالة جمود وسلبية بل وكثير من الظروف الموضوعية والذاتية الخاصة والعامة لاتساعد على تحريكه ودفعه للتحرك ، فما العمل ؟؟

هل الافضل تجميد القسم الاغلب والتوجه الى القسم الأخر رغم صعوبة العمل خلاله ، وبالتالي سيعمل ذلك على تلاشي الروح الثورية لدى القسم الأكبر ، ويؤول الأمر الى خسارة كلا الطرفين ؟

أم أن الافضل استثمار حالة النهوض والانتعاش الثوري وسط

هذا القسم الاغلب حتى يتصلب ويشكل العمود الفقري لمجمل النضال الشعبي ضد الاستبداد والعمالة ، بانتظار الظروف المؤاتية لتحرك وتحريك بقية الفئات ، خاصة ونحن نعيش في بلد يتأثر بشكل سريع وكبير بمجمل التغيرات الاقليمية السريعة . إن خط الثورة لا يمكن ان يسير أبداً وفي أي وقت واي مكان بشكل مستقيم ومطرد . انه مرحلة شاقة من التطورات والاحداث ، من الصعود والهبوط ، من الالتواء أو التراجع أو الانحناء أو التقدم انه معاناة انسانية عامة وشاقة لا يمكن التنبؤ مسبقاً بأحداثهاونتائجها . ان على المرء أن يسعى ما وسعه الجهد ، ويتخذ الأمور من أسبابها ما أمكن ، وليس عليه أن يضمن النتائج سلفاً .

٩ ـ « لقد استنهضت الحركة الدينية الوطنية الغالبية الساحقة من ابناء الطائفة الشيعية ، فأثارت الرعب والخوف والهلع في نفوس الطغاة ، فكيف يكون حالهم اذا استنهض الشعب كله ؟» (ص ٢٠٢) .

« ولكننا ايضاً نشاهد بأم أعيننا حجم الأضرار التي لحقت بالشعب من جراء عدم استنهاض أو عدم القدرة على استنهاض الطائفة الأخرى نظراً للمخطط والبرامج التعبوية المدروسة بعناية من قبل المخابرات المركزية واجهزة السلطة العميلة ، ونظراً للبرامج وسياسات التعبئة الخاطئة التي سارت عليها الجبهة الاسلامية ». (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

إننا نسجل على هذا النص الملاحظات التالية :

أ ـ ان جميع الوطنيين والثوريين يتمنون تمنيات « رومانسية » مشروعة بتحريك أو بتحرك الشعب بأكمله ضد الطغاة ، ولكن

الواقع غير ذلك تماماً وقد يعجز المرء عن تحريك الشعب أو حتى جزء صغير من الشعب (لأسباب كثيرة طبعاً !!)، فيستشيط غضباً ومرارة ويلقي باللوم على أولئك الذين استطاعوا ان « يحركوا الغالبية الساحقة من ابناء الطائفة الشيعية ، وأثاروا بذلك الرعب والخوف والهلع في نفوس الطغاة »، فيقول لهم انكم لم تستنهضوا أو لم تقدروا على استنهاض الطائفة الأخرى !!

ب ـ ثم هو يؤكد بان « حجم الاضرار التي لحقت بالشعب » ترجع الى أمرين : اولاً ، « المخطط والبرامج التعبوية المدروسة بعناية من قبل المخابرات المركزية واجهزة السلطة العميلة » ثم ثانياً ، « البرامج وسياسات التعبئة الخاطئة (قد يكون فاته ان يقول المدروسة بعناية ايضاً !!)التي سارت عليها الجبهة الاسلامية » !! يا للهول ويا للانحطاط ، عندما يتساوى عندك الصديق والعدو ، عندما يتساوى عندك النظام الرجعي الاستبدادي العشائري العفن العميل ، وتلك القوة الاسلامية الثورية (الجبهة الاسلامية) التي يواجهها النظام بكل ضراوة وشراسة منقطعة النظير ، لأنها استطاعت ان تستنهض الغالبية الساحقة من ابناء الطائفة الشيعية ، ولذلك عجل النظام العميل في قمعها وعبأ كل امكانياته وبرامجه وخططه واجهزته لكي لا يتم استنهاض وتحريك الطائفة الأخرى ولكي يضمن بقاءها على الحياد .

حـ ـ ورغم اختلال ميزان القوى في هذه المسألة بالذات لصالح النظام ، مسألة تحريك الطائفة الاخرى بين الجبهة الاسلامية والنظام لأسباب كثيرة تطرقنا سابقاً لبعضها . الا أننا نؤكد من جديد ان برامج وسياسات الجبهة الاسلامية لم تكن طائفية ابداً . كل ما في الأمر ان هنا تربة خصبة للعمل الثوري ولا بد من

استثمارها الى أقصى حد ، والاّ كانت جريمة بحق الشعب والقضية ، وهناك تربة غير مناسبة لأسباب كثيرة ولا بد من رصد ظروف افضل للعمل الثوري في وسطها .

د ـ ثم لماذا لم يسأل اصحاب ذلك الكتاب انفسهم : انه اذا كانت « البرامج وسياسات التعبئة الخاطئة التي سارت عليها الجبهة الاسلامية أدت الى استنهاض الغالبية الساحقة من ابناء الطائفة الشيعية » !! فلماذا لم يتقدموا ببرامجهم وسياسات تعبئتهم « الصحيحة جداً جداً » ويحركوا القسم الآخر ، القسم الأقل من السكان حتى لا تكون هناك « أضرار تلحق بالشعب ويرونها بأم أعينهم » ؟!!

اننا لم نر ان ذلك قد حصل فلماذا ، هل هو « عدم استنهاض أو عدم القدرة على استنهاض تلك الفئة » ؟!!

١٠ ـ نعم انهم هنا يحاولون أن يقدموا الحل فاسمع وانظر لهذا الحل السحري العجيب :

« وحيث كشفت الجبهة الاسلامية عن هذا العجز (يقصد العجز عن تحريك الطائفة السنية) فان الحركة التقدمية وحدها تقدم الحل . (ما هو هذا الحل ذو المفعول العجيب) ، « انه : وحدة الشعب كله ضد مضطهديه من سنة وشيعة ، من محليين وأجانب ، على اساس وطني طبقي واضح المعالم يرتكز على أن البلاد ملك للشعب كله ، وان الصراع في بلادنا هو صراع طبقي ـ سياسي بالدرجة الأساسية توظف على أساسه كافة الصراعات الفكرية والمذهبية ، وليس العكس » (ص ٢٠٣) .

نعم ما أسهل الحرب عند المتفرج . لو أن حل المعضلات

الوطنية الكبرى بهذه البساطة والسذاجة لأنتهت الدنيا من مشاكلها .

لقد صرخ منتشياً « كشفت الجبهة الاسلامية عن هذا العجز »واسمعوا جيداً « ان الحركة التقدمية وحدها (لا تنسوا وحدها)تقدم الحل . و « استبشر » المناضلون خيراً بهذا الحل السحري العجيب الذي على اثره سيموج الشعب كله بالامواج الثورية العاتية .ولكننا لم نرَ شيئاً عملياً « وحدة الشعب كله ضد مضطهديه ، وان البلاد ملك للشعب كله ». هل تمخض الجبل فولد فأراً !!

اننا نتساءل هل طرحت الحركة الاسلامية عامة والجبهة الاسلامية مثلاً (والتي كشفت عن عجزها) اطروحات وبرامج ومطالب ضد وحدة الشعب وضد أن البلاد ملك للشعب كله وضد ان الصراع في بلدنا هو صراع وطني ـ اجتماعي ؟؟ ألم تناد هذه القوى الاسلامية بهذه الاطروحات وبهذه المبادىء والمطالب ، الم ترفض النزعة الطائفية البغيضة ، ومع ذلك لم يكن الى تحريك الطائفة السنية من سبيل ؟!

ان مخطط الطائفية اكبر من طاقة الجبهة الاسلامية لوحدها ، لأنه ليست فقط السلطة الرجعية المحلية تقف وراءه بكل امكانياتها واجهزتها ، وانما كل الدول الامبريالية وخاصة الاميركية والبريطانية تقود مخططاًضخماً تشارك فيه كل القوى الرجعية في العالم الاسلامي لأحداث شرخ اجتماعي عميق في المجتمعات الاسلامية يعزل ويحيّد ما أمكن من الفئات والقوى الاجتماعية على اسس طائفية ، هذا من جانب .

ومن جانب آخر فان الحركة الاسلامية البحرانية عامة ، هي

جزء من تيار اسلامي عالمي ثوري وأصيل له امتداداته وتواجده في معظم مناطق العالم الاسلامي بل حتى في امريكا واوربا والهند وافريقيا وشرق آسيا ، ويضم تحت جناحيه العديد من من القوى والفاعليات الاسلامية الثورية السنية والشيعية .

ان الحركة الاسلامية البحرانية هي جزء من تيار اسلامي حضاري شامخ صلد يشق طريقه بثبات ويتقدم وسط عالم من تيارات التيه والزيف والضلال حتى يأذن الله تعالى ببزوغ فجر الاسلام من جديد فوق كل الكرة الارضية .

(القسم الثاني : مزيداً من الايضاح) .

١ ـ لقد بات أمراً معروفاً لدى جميع الاوساط السياسية ، ان الحركة الاسلامية الثورية العالمية السنية والشيعية ، قدأكدت وبشكل مطلق وقاطع وبعدة صور وأشكال شتى ، انها ترفض الطائفية ، وضد الطرح الطائفي البغيض ، وضد تأجيج النزعة الطائفية الضيقة التي تساهم في تمزيق شمل الأمة وتشتيتها .

٢ ـ ولقد بات ايضاً أمراً معروفاً ومتسالماً عليه لدى جميع الاوساط السياسية والثورية الاسلامية منها وغير الاسلامية ، أن مخطط اثارة وتعميق النزعة الطائفية ، وخلق الفتن الطائفية ـ مخطط دولي ضخم وكبير وخطير تقف على رأسه الامبريالية العالمية واذنابها الرجعيون في مختلف البلدان الاسلامية . وذلك بهدف ايجاد شرخ اجتماعي ضخم يشل الفاعليات الثورية والاسلامية وسط الامة الاسلامية ، لكي لا يتسنى لهذا العملاق الفتي ان ينهض ويدمر كثيراً من معادلات الاستكبار رأساً على عقب . واذا بات في بلدنا ومنطقتنا أن قيام « مجلس التعاون القبلي الطائفي »هو جزء أساسي من المخطط الامبريالي لمواجهة الشعوب الاسلامية الثورية في المنطقة ، فان ذلك قد أضفى حقيقة جديدة في الوضع

السياسي العام والخاص في منطقتنا . فانه بالقدر الذي لا يمكن لأية حركة ثورية في المنطقة ان تغفل حالة التعاون والتنسيق والدعم الاقليمي المتبادل بين انظمة الخليج العشائرية وما يمثله هذا الوضع من عمق اقليمي لكل منها ، إلا انه بالمقابل لا يمكن الاستهانة والاستخفاف بقوة كل من تلك الانظمة ذاتياً . ولقد جاء في كتابهم المذكور حول الموقف والوضع السياسي العام في البحرين أبان سقوط نظام الشاه ونهوض الحالة الجماهيرية الاسلامية الثورية ، ما يلي :

« وكان موقفنا واضحاً للغاية : إن قوة النظام ليست ذاتية بالدرجة الاساسية ، بل انها من قوة الانظمة الرجعية المحيطة به ، ومن قوة الامبريالية الاميركية . وعندما ينهار نظام من طراز الشاه ، فإن ارتخاء قبضة النظام لا يعبر عن تكتيك لهندرسون وخليفة ، بل عن وهن وارتباك حقيقي أصاب كافة القوى الامبريالية والرجعية في المنطقة ، وعلى الحركة الوطنية ان تستثمر الى أقصى الحدود هذه الحالة وتطور نضالها لتتمكن من انتزاع بعض المطالب المهمة من النظام ». (ص ٩١) .

ونحن نلاحظ على هذه الفقرة خروجاً فاضحاً على أُصول التحليل الماركسي الطبقي ، وذلك في تطبيق المادية الديالكتيكية على الواقع الاجتماعي (المادية التاريخية)، التي تزعم بالصراع الداخلي للمتناقضات وبالوحدة الداخلية للتركيبة التناقضية . فاذا كانت « قوة النظام ليست ذاتية بالدرجة الاساسية ، بل انها من قوة الأنظمة الرجعية المحيطة به ، ومن قوة الامبريالية الاميركية »، فالعامل الحاسم في تقرير مصير التركيبة الاجتماعية للبحرين إذن ليس هو وحدة الصراع الطبقي ـ الاجتماعي الداخلي ، بل هو عامل

خارجي أساسي ، هو قوة الانظمة المحيطة وقوة الامبريالية الاميركية . تماماً كما كان الجيش الأحمر الروسي العامل الحاسم والاساسي في تقرير المصير السياسي لدول أوربا الشرقية أبان الحرب العالمية الثانية ، بل وكان العامل الحاسم والاساسي في سنوات لاحقة ولعدة مرات عندما تدخل ذلك الجيش في بعض تلك البلدان لاعادة تثبيت النظام السياسي « المرغوب به » .

٣ ـ ان انقسام الامة الاسلامية الى طوائف ومذاهب متعددة ، حالة تاريخية وواقعية لها من التواجد في واقع وضمير الامة حدٌ لا يقبل المكابرة والرعونة ، وبالتالي تصبح الدعوات القائلة بـ « ضرورة فك الانغلاق الطائفي ، ولماذا يبقى السني سنياً ، والشيعي شيعياً» ـ الكتاب المذكور (ص ١٨) وعدة صفحات آخرى ايضاً دعوات سطحية وجاهلة هدفها الاساسي هو التهويش على الامة والعاملين وليس لايجاد أو المساهمة في ايجاد طرق عملية وواقعية لمواجهة مخطط الطائفية الامبريالي ضد الامة . ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن يصبح المرء أسيراً لحدود طائفية بالمعنى الانغلاقي ، الانعزالي .

٤ ـ اذن ما هي الطائفية المرفوضة ؟؟

هل كل من انتمى الى طائفة سمي طائفياً ، بالمعنى المتداول للكلمة ، أي متعصباً لطائفته ، وسيء المعاملة مع ابناء الطوائف الاخرى ؟!

أم أن الطائفية المرفوضة هي المتناقضة مع الآخرين ، وهي التعصب الطائفي ، ذو الروح الصدامية ، والنزعة العدائية ؟؟

٥ ـ اذن ليس كل من انتمى أو أنطلق من طائفة معينة اعتبر

طائفياً ، ونحن في هذا المجال نميز بين حالات ثلاث : [راجع كتاب : الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية ، منشورات منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية (ص ٧٧ ـ ١٧٨)] .

أ ـ الاولى حالة الحركة التي تنطلق من طائفة معينة وتعمل لتلك الطائفة فقط وبروح عدائية ونزعة تصادمية وتناقضية مع الطوائف الاخرى . فهذه الحركة هي حركة طائفية مرفوضة .

ب ـ الثانية حالة التجمعات والشخصيات التي تنطلق من طائفة معينة ويكون عملها موجهاً لخدمة تلك الطائفة لكنها لا تتضمن اتجاهات تناقضية أو تعارضية أو تعصبية تجاه الطوائف الاخرى . فهذا العمل وان كان ذا صبغة طائفية ، فهو ليس محرماً في الشرع ولا سيئاً من الناحية السياسية أو الاخلاقية .

حـ ـ الثالثة حالة الحركة التي تنطلق من طائفة معينة ولكنها تخدم الوطن والامة بكافة طوائفه وفئاته الاجتماعية ، بروح ايجابية متسامحة عالية ، بسمو أخلاقي رفيع ونبيل ، بتضحيات عالية مخلصة ، بتطلع مشروع لغد افضل واطهر . فهذه الحركة لا يمكن ان تعتبر طائفية بأي شكل من الأشكال . بل هي على العكس من ذلك ، تعتبر محوراً اساسياً من محاور الألفة والوحدة في الامة ، وعاملاً أساسياً من عوامل القضاء على الفرقة والصراع والتناحر ، وبالتالي هي أحد الاسلحة الرئيسية لمواجهة المخطط الامبريالي الرجعي الطائفي . ومن المؤكد ان الحركة الاسلامية البحرانية المعاصرة بمختلف فصائلها ورموزها ، هي من هذا القسم الثالث وهنالك في التاريخ الاسلامي القديم والمعاصر العديد من الشواهد والامثلة لحركات وتجمعات وشخصيات انطلقت من طائفة معينة ولكنها كانت تخدم الامة بكاملها بروح ايجابية رائعة ، سواء في

المجال السياسي أو الاجتماعي أو العلمي أو سائر المجالات الأخرى .

٥ ـ ان مهمة مواجهة واحباط المخطط الامبريالي الرجعي لأشعال الفتن الطائفية في عموم مناطق العالم الاسلامي ، مهمة ضخمة وشاقة ، تحتاج الى تظافر جهود جميع ابناء الأمة المخلصين من الطائفتين ، وتحتاج الى حلول عملية وواقعية ، وستأخذ وقتاً طويلا نسبياً .

الفصل الثالث

كيف يمكن إفشال مخطط السلطة الطائفي؟

لأجل درء أخطار « الطائفية » وعدم إستخدامها كسلاح بيد السلطة الإستبدادية ، تقدم أصحاب الكتاب المذكور بتصوراتهم حول هذه المسألة . وقد قدموا لها بتساؤل عملي ، يقتضي إجابات عملية وواقعية ملموسة ، وهو : « كيف يمكن تقويم الأمور ؟ بحيث لا يتحول الإنقسام الموروث للناس الى سلاح بيد السلطة ضد الشعب ؟ » . ص ١٧ .

وقدموا برنامجهم المتكون من خمس نقاط ، وسوف نتوقف مع كل نقطة ونناقشها بشكل موجز ومختصر .

١ - « إذا كانت السلطة الرجعية تفرض هيمنتها على البلاد من خلال الإرهاب بمختلف أشكاله ، الجسدي والمادي والفكري والمعنوي ، فإن من واجب المعارضة أن تتمسك بالديمقراطية وتثبت مصداقيتها من خلال الممارسة ، فبدون الحوار الديمقراطي على قاعدة الإنتماء للوطن والعداء للنظام الرجعي والعدو الإمبريالي ، لا يمكن تقديم بديل حقيقي عن هذا النظام القمعي » . ص ١٨ .

ولنا على هذه النقطة الملاحظات التالية .

أ ـ هل أن منطق الإتهامات والإفتراءات على الحركة الإسلامية وفصائلها ورموزها ، من مبدأ الحوار الديمقراطي ؟ ! وهل بهذا الإسلوب « الديمقراطي » يمكن تقديم بديل حقيقي عن النظام القمعي ؟ !

ب ـ لنفترض أن مبدأ الحوار الديمقراطي قد ساد بين أطراف المعارضة الوطنية . وأصبح حقيقة مكرسة في واقع العلاقات بين تلك الأطراف ، (وهذا ما يكاد يكون معدوماً حتى بين الحركات اليسارية أنفسها على ضوء رحلة العشرين أو الثلاثين سنة الماضية) ، لنفرض أن هذا المبدأ قد تجسد بجوهره وروحه الإيجابية ، فهل يكفي ذلك لعدم إستخدام : السلطة الرجعية للطائفية كسلاح بيدها لتمزيق المجتمع ، خاصة إذا علمنا أن الجبهة الإسلامية « طائفية » كما زعم أصحاب الكتاب المذكور وأن باقي الأطراف شيوعية ، وقدرتها على التغلغل وسط المجتمع محدودة كما اعترفوا سابقاً .

إن قضية الطائفية كسلاح بيد السلطة العملية ، هي قضية سياسية ـ إجتماعية بالدرجة الأولى ، وليست قضية سياسية صرفة بين أطراف المعارضة الوطنية ويمكن حلها أو مواجهتها بسيادة مبدأ الحوار الديمقراطي بين أطراف المعارضة ، رغم أهمية ذلك .

حـ ـ إن مواجهة الطائفية كسلاح بيد السلطة الرجعية ؛ تتطلب في الجانب السياسي التركيز على المطالب الوطنية العامة ، والتشهير السياسي العام ، وتناول القضايا الوطنية العامة

وفضح إرتباطات وعمالة السلطة للأميركان والبريطانيين ، وفضح مخطط السلطة الطائفي ، وتركيز العمل الثوري والسياسي في الأوساط غير المتحركة وضرورة الوصول اليها ، وكفّ بعض الأوساط الوطنية اتهامات الحركة الاسلامية وعلماء الدين بالطائفية والعمالة لأنها تصبّ بالنتيجة في طاحونة النظام الطائفية وأن تسعى قوى المعارضة للعمل على تعزيز علاقات التقارب فيما بينها على أسس واضحة وعملية تستهدف تصعيد العمل الثوري وتعزيز النهج الكفاحي في مختلف المجالات الممكنة .

ولا نعتقد أن فصائل المعارضة الوطنية تطرح خلاف ذلك أبداً بما فيها الجبهة الإسلامية التي « سقطت في الواقع الطائفي » كما يحلو لأصحاب ذلك الكتاب أن يزعموا ، وكما رأينا ذلك في الفصول السابقة .

د ـ ومواجهة هذا السلاح في الجانب الإجتماعي يتطلب برنامجاً عملياً أو إقتراحات عملية إيجابية يقوم بتنفيذها أبناء الطائفتين سوية . ويمكن تعداد العديد من نقاط العمل في هذا المجال كأمثلة ، مثل : تعزيز الصداقات القائمة بين أبناء الطائفتين، والعلاقات ، والزيارات ، وإقامة واكثار المصالح المتبادلة ، والمساهمة في مناسبات الطائفتين، وفتح حوارات بناءة بين العاملين والمثقفين ورجالات الطائفتين حول هموم ومشاكل وقضايا الفريقيين والبلاد بشكل عام . . الخ .

ويبقى أخيراً أنه مهما كان البرنامج المقدم لحل هذه المسألة تفصيلياً وواقعياً وجميلاً ، إلا أنه تبقى القدرة عل تحويله الى واقع عملي ملموس رهناً بقدرة جميع الأطراف والقوى

والشخصيات ، ورهن بالعديد من العوامل والظروف الموضوعية والذاتية السائدة في البلاد .

« ٢ ـ إن من حق أي مواطن أن يرتبط بالتنظيم السياسي الذي يراه معبراً عن طموحاته وتطلعاته . وعلى قاعدة هذا الحق ، وإذا كانت الحركة الدينية المعاصرة قادرة أن تقدم نفسها كحركة سياسية لمجموع الشعب ، فإن الدعوة إلى فك الإنغلاق المذهبي ضرورية للغاية ، فلماذا يبقى السني سنياً ، والشيعي شيعياً ، والأباضي أباضياً . . . الخ . . طالما أن هذه المذاهب كانت بالأساس إجتهادات وحركات سياسية تتسع وتضيق بأعضائها كما هو حال الأحزاب المعارضة الحديثة » . ص ١٨ .

وعلى هذه النقطة عدة ملاحظات يمكن إجمالها فيما يلي .

أ ـ إنقسام مجتمعنا الى طائفتين هي حقيقة تاريخية وواقعية ثابتة ، فهل من الحكمة والصواب أمام هذا الواقع ، ولأجل إفشال مخطط السلطة العميلة لتطويع الطائفية كسلاح بيدها ، الدعوة الى تذويب الطوائف « فلماذا يبقى السني سنياً ، والشيعي شيعياً ، والأباضي أباضياً . . . » ، فهل هذه دعوة عملية وواقعية ؟ ! وهل هذا حل عملي أمام هذه المعضلة السياسية ـ الإجتماعية ؟ ! . ثم يا ترى هل إكتشف أصحاب ذلك الكتاب طائفة أخرى في مجتمعنا هي « الأباضية » لم يكن أحد يعلم بوجودها !! .

ب . نحن نرفض تفسير نشوء وظهور لمذاهب الإسلامية ، على أنها حركات سياسية « كما هو حال الأحزاب المعارضة الحديثة » ، وهذه رؤية مشوهة وسطحية وخاطئة أطلقها الكاتب من خلال « النظارة السياسية » التي يضعها على عينيه ، خاصة إذا

علمنـا أنها صـدرت من جماعـة « يعرفـون عن تاريـخ الإشتراكيـة العالمية وتاريخ روسية والصين وفيتنام ، أكثر ما يعرفون عن تـاريخ ونضـالات شعبهم الممتـدة عبـر مئات السنين » ، وذلــك حسب إعترافهم كما رأينا في الفصل السابق .

حـ ـ ثم أن الدعوة الى تخطيء المذاهب الإسـلامية ثم الى تـذويبهـا ، هـل يقضي فعـلاً على مخـطط السلطة لإستخـدام : الإنقسـام الطائفي في المجتمـع ، أم أنه يصب مـزيداً من الـزيت على نار الفتن الطائفية بما يخلق من مشاحنات وإربكـات وقلاقـل لا أول لها ولا آخر ؟ !! .

« ٣ ـ إننا نرفض بالمطلق هذا التميز الطائفي البغيض الذي تمارسه السلطة ضد أفراد الشعب ، في التوظيف والمعاملات وفي سـائر المجـالات . إن المواطن مـواطناً أيـاً كان مـذهبه ، وجنسـه ولونه ومعتقـده السياسي ، ومن حق أي مـواطن أن يمارس حقـوقه الدينية كما يراها » . ص ١٩ .

« إن من حق أي مـواطن أن يمـارس حقـوقـه الـدينيـة كمـا يراها » ، هذا الحق الذي تؤكد عليه هذه الفقرة ، لقد تم مصادرته عملياً في النقطة السابقة حيث أكـد الكاتب « أن الـدعوة الى فـك الإنغـلاق المذهبي ضـرورية للغـاية ، فلمـاذا يبقى السني سنيـاً ، والشيعي شيعيـاً والأباضي أبـاضيـاً . . . » ، وعليـه فان المـواطنين الـذين يرون ممـارسة حقـوقهم وشعائـرهم الـدينيـة ضمن أطـرهم المذهبية سوف لن يستطيعوا أن يمارسوا هذا الحق في إطار الدعوة « الضرورية » الى تذويب المذاهب كما سبق .

« ٤ ـ بالرغم من النجاحات الحالية للحركة الدينية ، فإننا لا

نـرى المستقبل لهـذه الحـركـات الـدينيـة . . . . وإذا كـانت هـذه المسألة موضع نقاش ومجادلـة ، فإن من واجب الجميـع أن يقدم براهينه ـ قولاً وممارسة ـ . . . . » . ص ١٩ ـ ٢٠ .

ولنا على هذه النقطة الملاحظات التالية :

أ ـ لقـد قدم الكـاتب تصوراتهم أو بـرنامجهم هـذا بالعبـارة التالية : « ولهذا فإننا نسمح لأنفسنا أن نقدم تصوراتنا ، على أمـل أن يقـدم الآخرون تصـوراتهم ، ومن خلال الحـوار والتفاعـل بين أطراف المعارضـة ، يمكن الوصـول الى برنـامج مشتـرك » . ص ١٨ .

وعليـه فنحن لا نـدري كيف يمكن إدراج ـ بـل حتى كيف يمكن تصـور ـ مثل هـذه النقـطة في بـرنـامـج مشتـرك عملي بين أطـراف المعارضـة من أجـل مـواجهـة المخـطط الـطائفي للسلطة الإستبدادية ، وذلـك إذا كان كـل فريق يتهجم على الفـريق الآخر بأنه مهما أبدى اليوم من تضحيات وانتصارات فإنـه فاشـل وخاسـر وأنه المستقبل ليس له !! .

هل يمكن تصور قيام علاقات طيبة بين أطراف المعارضـة ، وأعمال مشتركة ، وأشكال تنسيقية ووحدوية راقية إذا سـاد ت مثل هذه « الذاتيات » والإدعاءات الصبيانية !!

ولو كان الطرح ضمن دراسات نظرية وفكـرية مـدعماً بـروح إيجـابية ومـوضوعيـة لأصبح الأمـر مقبولاً في مجـال تفاعـل الآراء والأفكار ، أما أن يكون الطرح هكذا ضمن صياغـة برنـامج عملي لأطراف المعارضة لأجل مواجهة معضلة وطنيـة عامـة وحساسـة ، فضمن أي بـاب يمكن أن نـدخله ؟ ! ، أضمن بـاب الكيـاسـة

واللباقة السياسية ، أم ضمن باب التكتيكات السياسية الناجحة ، أم ضمن باب القوي المتمكن الواثق من نفسه المترفع فوق المهاترات والإدعاءات الفارغة ، أم ضمن باب الضعيف المرتبك الذي يصرخ في وجه الناجح : « بالرغم من النجاحات الحالية لكم ، فأنا لا أرى المستقبل لكم » !! .

ب ـ وللتأكيد على مدى التخبط والجهل ، فدعونا نتوقف قليلاً أمام طلبه الخاص حيث يقول :

« وإذا كانت هذه المسألة ـ يقصد مسألة المستقبل لمن ـ موضع نقاش ومجادلة ، فإن من واجب الجميع أن يقدم براهينه ـ قولاً وممارسة ـ » ص ٢٠ .

تصوروا يا سادة ، أن ممثلي « أطراف المعارضة الوطنية بمجموعها : من شيوعية وديمقراطية وقومية ودينية » ص ١٨ ، مجتمعين حول طاولة واحدة لأجل إقرار « برنامج مشترك » لمواجهة مخطط السلطة الطائفي ، وهم يتحاورون ويتجادلون في أن كل طرف يرى ، مهما كانت إنتصارات الطرف الآخر الآن ـ بأن المستقبل له لا لغيره ، كما تفضل صاحب الدعوة الرئيسي في برنامجه حيث قال : « بالرغم من النجاحات الحالية للحركة الدينية ، فإننا لا نرى المستقبل لهذه الحركات الدينية » !!

فهل يمكن لمثل هذه اللقاءات وهذه الإدعاءات أن تثمر عن نتائج ملموسة وإيجابية للقوى الوطنية بمجموعها لمواجهة مخططات السلطة الإستبدادية العشائرية ؟ ! هل يمكن لمثل هذه اللقاءات أن تتمخض عن برامج عملية موحدة لقيادة النضال الوطني ؟ !

« ٥ ـ إن مصداقية أي حركة سياسية : دينية أو علمانية ، ليس ما تقوله عن نفسها ، وإنما برنامجها وممارساتها اليومية الكافاحية .

وإذا كان ميدان الصراع الأيديولوجي واسع النطاق ، ألا أن التحديات السياسية كبيرة للغاية ، ولا بد من التركيز على خوض النضال الوطني والقومي والإنساني والطبقي ضد أعداء الوطن والأمة والإنسانية ، وعلى قاعدة المواقف النضالية يجب أن تكون التحالفات أو الإفتراقات ، بدلاً من الإختلاف الأيديولوجي » ص ٢٠ .

ولنا في هذه النقطة ملاحظات موجزة في التالي :

أ ـ بالتأكيد أن كل قارىء قرأ النقطة السابقة التي تدعوا الى فتح حوارات وصراعات أيديولوجية واسعة ـ ونحن في باب صياغة رنامج نضالي عملي مشترك ـ ويقرأ هذه النقطة التي نحن بصددها ، والتي تؤكد على أنه « إذا كان ميدان الصراع الأيديولوجي واسع النطاق ، إلّا أن التحديات السياسية كبيرة للغاية ، ولا بد من التركيز على خوض النضال الوطني . . . ، بالتأكيد أن ذلك القارىء سوف لن يمنع نفسه من الضحك ، وسوف يقف مستغرباً من تضارب دعوات ذلك الكاتب !!

فمرة يطلب من الجميع أن يخوضوا « صراعاً » أيديولوجياً واسع النطاق » ليثبت كل منهم أن المستقبل له وليس لغيره ، ثم يطلب فهم مرة أخرى « التحالف على قاعدة المواقف النضالية بدلاً من الإختلاف الأيديولوجي ، لأن التحديات السياسية كبيرة للغاية ولا بد من التركيز على خوض النضال الوطني . . . » !!

ب ـ وكنتيجة مؤسسة على النقطة الخامسة التي نحن بصددها والتي ذكرناها أعلاه ، يقول : « وعندما لا تتفق المعارضة الدينية مع المعارضة الديمقراطية العلمانية بحجة « الإيمان والإلحاد » ، فإن من المنطقي أن تتفق هذه المعارضة الدينية مع « الاخوان المسلمين » بما يرمزون إليه من ولاءات للطواغيت ، طالما أن « الإسلام جامع » . ص ٢١ .

أولاً ، نحب أن نؤكد أن القضايا التي تحكم إتفاق المعارضة الإسلامية أو عدم إتفاقها مع المعارضة غير الإسلامية ليس فقط مسألة « الإيمان والإلحاد » ، وإنما كثير من العوامل والأسباب والأوضاع التي قد تساعد أولا تساعد في تحقق مثل هذا الأمر . ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة هذه القضية .

ثانياً ، نحن هنا لسنا بصدد التقييم والحكم على « الاخوان المسلمين » الذين طرحهم الكاتب بإطلاق عام وكمثال عام .

ثالثاً ، أنه لمن الغرابة أن يتوصل الكاتب الى تلك النتيجة « المنطقية » حينما زعم أنه « عندما لا تتفق المعارضة الدينية مع المعارضة العلمانية بحجة « الإيمان والألحاد » فإن من المنطقي أن نتفق هذه المعارضة الدينية مع الإخوان المسلمين » بما يرمزون إليه من ولاءات للطواغيت » !!

إن هذا الأمر ـ عدم إتفاق المعارضة الدينية مع المعارضة العلمانية حتى ولو بحجة الإيمان والإلحاد ليست به أية ضرورة : لا منطقية ، ولا فلسفية ، ولا واقعية ، ولا عملية بمعنى أنها تفرضها معادلات العمل والتحرك ، أن يكون هناك إتفاق بين هذه المعارضة الدينية مع الرجعية الدينية ؟ ! بل هذا هو واقع الحركة

الإسـلامية المعـارضة اليـوم في بلادنـا وفي كثير من بلدان العـالم الإسلامي . فرغم عدم إتفاق هذه الحركـات الإسلامية الـمجاهـدة مع الحركات المعارضة غير الإسلامية ، إلاّ أننا لم نـر ولم نسمـع عن إتفاقها مع الخونة والرجعيين حتى ولو تزيوا بزي الإسلام .

بل كشفت الحركة الإسلامية حتى اليوم عن مبـدأية صـارمة وصمود جبار وإستقامة لا حدود لها وإستقلالية عالية وإعتمـاد على الذات منقطع النظير والمثيل .

الفصل الرابع

أين موقع علماء الدين
في جهاد شعبنا

« العلماء ورثة الأنبياء » حديث شريف .

عندما إنطلق الأنبياء الكرام في مسيرتهم المباركة لتبليغ الدعوة الإلهية ، لتصحيح وضبط المسيرة البشرية ، جوبهوا بمقاومة عنيفة تصدت لها جبهة الجهل والشهوات والطواغيت والمستكبرون . وكانت رحلة إنسانية شاقة ، مليئة بالعذابات والمعاناة والتضحيات . وقد عمدها الأنبياء بالدم ، في صراع مرير وطويل ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الفضائل الإنسانية العالية وبين الرذائل الحيوانية السافلة ، فأغلبهم ـ أن لم يكن جميعهم ـ قضى شهيداً ، ومضى علماً للقيم الإنسانية المقدسة .

ثم سار على دربهم بإحسان الأوصياء الأصفياء ثم العلماء الأتقياء عبر تاريخ الإنسانية جمعاء . ولقد كان العلماء حقاً خير ورثة للأنبياء ، فكانوا الأمناء المخلصين للأمة والدين فإن كنا اليوم نتفيأ ظلال الرسالة الإلهية والقيم الإنسانية القدسية ، فذلك لأنها وصلتنا عبر تضحيات أولئك العلماء الأفذاذ وفوق جماجمهم

الطاهرة النيرة .

فالعلماء لم يرثوا فقط علم الأنبياء وحلمهم وورعهم وتقواهم وفضائلهم ، وإنما ورثوا أيضاً مكانتهم وقيادتهم وصدارتهم للأمة وشئونها . وبالتالي فقد ورثوا أيضاً جهاد الأنبياء وتصديهم للطغاة والمستكبرين والجهلاء والمنحرفين .

وهذا هو تاريخ أمتنا ، قديماً وحديثاً يسطع بأروع الآيات والأمثلة . وإن كان هناك بعض أشباه « العلماء » المنحرفين والمتسلقين فهم الشذاذ والشواذ جداً ، ولقد لفظتهم الأمة ولفظهم التاريخ ، كما أن الدين منهم براء .

وتاريخ بلادنا وهو جزء من تاريخ الأمة الإسلامية ، يؤكد قديماً وحديثاً ، هذه الحقيقة أيضاً . فلقد كان علماء الدين العاملون قلب الأمة وضميرها ودرعها الواقي . ونحن هنا لسنا بصدد تأريخ الحركة العلمائية البحرانية ودورها الريادي ، وإن كنا نأمل مستقبلاً تحقيق هذه الغاية ، وإنما نرى أن هذه القضية أصبحت حقيقة تاريخية وواقعية . ولأجل هذا يمكن أن نفهم فهماً صحيحاً ، لماذا هذه الحملات من التشهير والتشويه والإفتراءات والتعبئة المضادة ضد علماء الدين سواء في بلدنا أو في سائر البلدان الإسلامية وذلك من قبل جميع القوى اليمينية واليسارية التي تحمل عداءً وإختلافاً مع الإسلام والإسلاميين .

ومن خلال إستعراضنا في الفصول السابقة ، لبعض أدوار علماء الدين في الفترة المعاصرة : ومن خلال فهمنا للحركة الإسلامية ، على أنها ليست حركة سياسية صرفة على غرار الحركات غير الإسلامية ، بل أنها حركة حضارية شاملة ، وبالتالي

فإن الجانب السياسي لا يشكل إلاّ أحد جوانب نشاطاتها المتعددة : الثقافية والإجتماعية والتربوية .. الخ . والجانب السياسي قد يتصدر نشاطاتها في فترة ما وقد يتأخر ، قد يظهر ويبرز، وقد يختفي تحت السطح وذلك بناء على الظروف الموضوعية والذاتية وبناء على الخطة الإستراتيجية العامة للعمل والتحرك .

لذا ، فإن المراقب الخارجي والبعيد عن أجواء الحركة الإسلامية قد يشكل عليه فهم كثير من خصوصيات هذه الحركة وتوجهاتها مما يساهم أيضاً في تكوين فهم خاطىء لهذه الحركة ونشاطاتها ورموزها ، وبالتالي فإن أي تقييم ينطلق من هذه الزاوية سيكون تقيماً خاطئاً وظالماً .

وإنه مما يحز في النفس حقاً أن تصدر ، من فصيل وطني حرص دائماً على أن يقدم نفسه في صفوف بل في أوائل الصفوف العاملة على رأب الصدع الوطني ولم الشمل الشعبي لأجل مواجهة جماعية مشتركة للسلطة الإستبدادية العشائرية الطائفية ، أن تصدر منه هذه الإتهامات والإفتراءات والسباب ضد الحركة الإسلامية المجاهدة وفصائلها ورموزها .

وإن كنا قد تناولنا في الفصول السابقة بعض هذه الإتهامات وخاصة تلك المتعلقة بالمسألة الطائفية ، فإننا هنا سوف نستعرض بعض التهم التي تأخذالطابع « الشخصي » والتي قيلت بحق بعض علماء الدين العاملين، وذلك لا لحاجة هؤلاء العلماء الأماجد للرد ونفي هذه التهم الرخيصة الكاذبة لأنها لا تقوم أصلاً على أي دليل مادي أو برهان ، ولأن الواقع « العلمائي » هذا والواقع الجماهيري

الذي تعيش فيه هذه العلمانية يفضح تماماً هذه الإتهامات ويفضح مطلقيها . وإنما آثرنا إستعراض بعض التهم وردها بشكل موجز وسريع ، وذلك لأننا نعتقد أنها باتت تشكل إنحرافاً فكرياً ونفسياً ومسلكياً لدى أوساط بعض (القوى الوطنية) ويجب الوقوف عنده لتعريته وتصحيحه .

في البداية ، وعندما دخلت الأفكار الماركسية بلادنا في النصف الثاني من الخمسينات على يد بعض العناصر الشيوعية الإيرانية والأرمنية والعراقية(١) الفارة من بلادها تشكلت نوى تنظيم شيوعي في البحرين « جبهة التحرير الوطني » : وظلت الخلايا الشيوعية محدودة الأثر والإنتشار وظلت مقتصرة أساساً على بعض الأحياء في العاصمة وبعض الأقليات كالإيرانيين. ثم بعد هزيمة ٥ يونيو حزيران ٦٧ م وتحول كثير من القوى القومية الى الماركسية ، ويبدو أنها كانت أكثر إنتشاراً من التنظيم الشيوعي السابق حيث أن فكرها القومي كان أكثر قبولاً ورواجاً في تلك الفترة ، عندها بدأ التيار الشيوعي بشكل عام وبكلا إتجاهيه الشيوعي ـ والقومي الشيوعي : أكثر إنتشاراً وأكثر تماساً بالمجتمع ومؤسساته ، « ولا شك أن لكل مرحلة طفولتها ، كما لكل حركة سياسية طفولتها ، وقد شاب تصرفات القوميين والشيوعيين والتقدميين بشكل عام الكثير من السلبيات في الممارسة التي إستثمرها الرجعيون لعزل

---

(١) راجع : حسين موسى ـ البحرين النضال الوطني والديمقراطي ١٩٢٠ـ ١٩٨١ ـ الحقيقة برس ط١؛ ١٩٨٧م.

الجماهير عن الحركة التقدمية » ص ١٩٤ لكتاب المذكور : مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية .

ففي تلك الفترة وباعترافهم السابق ، فإن الحركة الشيوعية كانت تعيش طفولتها الفكرية والسياسية ولقد شاب تصرفاتهم الكثير من السلبيات التي تمثلت في الصدام المباشر والصارخ مع المجتمع وتقاليده وعاداته وأفكاره ومؤسساته ، وبطبيعة الحال فإن مجتمعنا إسلامي ومحافظ وملتزم دينياً ويعتز بهذا الإلتزام وبناء على ما سبق ، فإنه قد يلتمس البعض ، العذر لأولئك الذين كانوا يعيشون فترة « طفولتهم » ويغض الطرف عما بدر منهم بحق الدين ومؤسساته ورجاله .

ولكن بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود من الزمن على تلك الحركة السياسية، وتخطيها لمرحلة الطفولة السياسية »، فكيف يمكن لأي إمرء أن يحتمل ويعذر ، إذا عادت تتكرر وبشكل متواصل المواقف والممارسات الخاطئة السابقة ؟ هل لا زالت تلك الحركة السياسية تعيش « طفولتها السياسية » أم أنها الآن في مرحلة « المراهقة السياسية »؟! رغم أنهم يؤكدون أنهم يعيشون مرحلة النضج السياسي !!.

أم أنها الآن في مرحلة « المراهقة السياسية »؟! رغم أنهم يؤكدون أنهم يعيشون مرحلة النضج السياسي !!.

والآن سنستعرض قسماً صغيراً من الإتهامات والأراجيف التي لا زالت تتردد في أروقة اليسار بل وفي كتاباتهم وبرامج تعبئتهم ، ولا ندري أهي مخلفات مرحلة « الطفولة » السياسية أم هي علامات فترة « المراهقة والإندفاع والتذبذب » ، وسنستعرض

الآن القسم الأول منها :

١ ـ « حيث بدأ المستشار البريطاني ـ تشارلز بلكريف ـ يعمّق إتصالاته مع رجال الدين الشيعة » ص ١٥ .

٢ ـ « هكذا شهدنا توزيع الأدوار بينها وبين الإستعمار البريطاني ممثلاً في بلكريف المستشار البريطاني الذي حكم البلاد منذ (١٩٢٦ ، ١٩٥٧) فقد كان هذا العدو الشرس لشعبنا لا يتردد عن تقديم نفسه مدافعاً عن الشيعة أو بتعبير أدق الأعيان والتجار ورجال الدين المرتبطين معه من الشيعة » ص ١٢٩ .

٣ ـ وهكذا قسّم الإستعمار وآل خليفة الأدوار بينهما ، فوضع الإستعمار (ممثلاً في المستشار البريطاني السيء الصيت بلكريف) نفسه مدافعاً عن الشيعة ، بينما وضع آل خليفة أنفسهم مدافعين عن السنة !! ووجد المستشار بلكريف طريقة الى بعض رجال الدين الشيعة » ص ١٩٥ .

هذه تهمة وظنه باطلة لم نجد لها أي دليل تاريخي وواقعي مادي ، وإنما هكذا إطلاق الكلام « التاريخي » أو التهم جزافاً ، لا لشيء ، إلّا لأن مطلقها ينطلق من الفكرة الماركسية التقليدية ان الدين أفيون الشعوب ، ورجال الدين رجعيون بالتالي لا بد ـ شاءوا أم أبوا ـ أن يرتبطوا بالطبقة الرجعية وبما أن في بلادنا إختارت الطبقة الحاكمة الرجعية علماء الدين السنة ، فالإستعمار البريطاني ممثلاً في المستشار بلكريف إختار علماء الدين الشيعة !!

أي تفاهة أكثر من هذه « التفاهات التارخية » يا ترى !!

صحيح أن الطائفة الشيعية عانت الأمرّين من الإضهاد

السياسي والديني على يد العائلة الحاكمة أكثر بكثير جداً من أي فئة إجتماعية أخرى في المجتمع ، وصحيح أيضاً أن الإستعمار البريطاني والمستشار بلكريف حاول أن يظهر نفسه مدافعاً عن الشيعة بشكل ما ، وذلك لأسباب كثيرة منها المصلحة البريطانية العليا أولاً وقبل كل شيء ، وصحيح كذلك أن ضعفاء وبسطاء الشيعة كانوا أحياناً يجدون بعض العطف والمسعدة البريطانية أمام العسف البدوي والطائفي والهمجي الذي مارسته أشرار العائلة الحاكمة الخليفية ، مما إنعكس في وعي أولئك البسطاء الضعفاء أن أفضل العدوين هو أرحمهما لهم وأرفقهما بهم وهو الإستعمار البريطاني ولكن كل ذلك لم يؤدي بعلماء الدين الشيعة الأفاضل الى العمالة والإرتباط بالإستعمار البريطاني أو بالمستشار البريطاني بلكريف .

فبعضهم صبر وصمد وظل علماً طاهراً مجاهداً في الساحة حتى قضى شهيداً وغيلة كالشهيد الشيخ عبد الله العرب الذي قُتل غدراً وهو في طريقه إلى « الجمعة » وقطع رأسه الشريف وأصبعه الخنصر الأيمن حيث كان يلبس خاتماً فسلب منه بعد بتر إصبعه الطاهر . .

والبعض الأخر ، لما ضاقت به الأرض بما رحبت من جرّاء العسف الخليفي ، إتخذ من الهجرة ملجأ وملاذاً ففر بدينه وعائلته الى البصرة أو الى القطيف أو الى إيران أو الى شرق أفريقيا أو الى الهند ، ولا زالت كثير من آثارهم الزاكية باقية حتى اليوم هناك .

وبعضهم إتخذ من الهجرة طريقاً لإعداد العدة لمقاومة الظلم والطغيان كالسيد شبر بن السيد علي المشعل الغريفي

العالم الرباني والفقيه المتبحر حيث ذهب الى البصرة وجمع حوله جمعاً من المؤمنين الرساليين وزودهم بالسلاح والعتاد ، وأدرك بنظره الثاقب وحنكته السياسية ، أن البحرين وفي ظل وضعها الإقليمي والإستراتيجي الهام والعائلة الحاكمة وتحالفاتها الخارجية والإقليمية ، لا يمكن مواجهتها أيضاً إلاّ بعمق إقليمي ، فلذلك شد الرحال الى حاكم شيراز (وليس للبريطانيين أو بلكريف) لتأمين الحماية الإقليمية ، إلاّ أن عيون البريطانين وآل خليفة في المنطقة كانوا قد رصدوا تحرك ذلك السيد الجليل ، فرفع آل خليفة العلم الإيراني من فوق (قلعة أبو ماهر) ودفعوا جزية جزيلة وهدايا عظيمة لحاكم شيراز واستطاعوا أن يمنعوا تحقق سند إقليمي لتحرك ذلك العالم الرباني المجاهد ، وينقل لنا التاريخ أن ذلك السيد الفاضل قد قضى كمداً وحزناً في شيراز بعد ثلاثة أيام من وصوله إليها وفشله في كسب عطف وتأييد حاكم شيراز لنهضته . ونحن لا نستبعد مطلقاً أن يكون ذلك العالم الفقيه والسيد النجيب قد مضى شهيداً مسموماً ، ونستبعد أن يكون قد مات حزناً وانكساراً حيث أن رجلاً في مثل سنه وجلاله مقامه وعلمه وعلو بأسه وروحيته ومعنوياته ، لا يمكن أن تكون وطأة الصدمة عليه بتلك الشدة المهلكة[1] .

هذا هو غيض من فيض من تاريخ علمائنا الماضيين ، ونحن نتحدى من يخدش ماضينا الطاهر أن يأتينا ولو بدليل واحد تاريخي وواقعي ملموس على ما ذهب إليه في « طفولته السياسية » .

---

(١) البلادي (الشيخ) علي بن حسن. انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين ـ مطبعة النعمان ـ النجف ـ ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

القسم الثاني من هذه الإتهامات :

١ ـ « وكانت الإرستقراطية الدينية من الطائفتين تقف ضد الخميني ومع عيسى بن سلمان وشاه إيران وملك السعودية ، لا فرق في ذلك بين عبد اللطيف المهزع وعيسى قاسم والجمري و المدني . فقد كانت السعودية تموّل كلاً من حركة الإخوان المسلمين وجمعية التوعية الإسلامية » . ص ٨٨ ـ ٨٩ .

٢ ـ « لأن الغالبية الساحقة من رجال الدين الشيعة والسنة لم يترددوا عن الإلتصاق بمصالحهم الكبيرة وبارتباطهم مع النظام » . ص ٨٩ .

٣ ـ «إن البعض لا يستطيع أن يرى الصراع الطبقي وسط هذه الحركة . لا يرى أن هناك إرستقراطية متخمة تغني للعمالة والإرتباط مع الزمرة الحاكمة » . ص ٨٩ .

٤ ـ « ولم يكن هناك خلاف في التقييم لدى رجال الدين الكبار المتسلطين من الشيعة والسنة من أمثال سليمان المدني وعبد اللطيف المهزع بأن إسلام الخميني خطر عليهم وأن جمعية التوعية الإسلامية كما هو« نادي الإصلاح يجدان خطراً في هذا الإسلام الجديد » . ص ١٣٤ .

٥ ـ « وكاد التصدع أن يحدث وسط رجال الدين الشيعة

الذين وقفوا في غالبيتهم ضد الإمام الخميني ومع شاه إيران وآل خليفة » . ص ١٣٦ .

٦ ـ « وأن الغالبية الساحقة من رجال الدين من السنة والشيعة ليسوا على إستعداد أن يفرطوا بمصالحهم الواسعة المرتبطة مع

النظام ، . . . ثم برزت التجمعات الإسلامية وخاصة وسط رجال الدين الشباب والمتنورين الدينيين من الشيعة ، والتحق بهم عدد ممن راهن على الحركات التقدمية فلم يجد النصر حليفاً لها ، وتوهم أن إنتصار الثورة في إيران قد جعل الإنتصار في البحرين قاب قوسين أو أدنى » . ١٩٩ .

نحن هنا أمام درجات من التهم والإفتراءات ضد رجال الدين ، وهي :

١ ـ مصالح كبيرة وواسعة حتى يمكن تسميتها « إرستقراطية » .

٢ ـ عمالة وإرتباط مع النظام الرجعي .

٣ ـ عمالة وإرتباط مع القوى الإقليمية (شاه إيران ملك السعودية) .

٤ ـ الوقوف ضد الثورة الإسلامية في إيران وقائدها لملهم الإمام الخميني حفظه الله .

٥ ـ عمالة المؤسسات الإسلامية كجمعية التوعية الإسلامية للنظام وللسعودية .

مقدماً وقبل الخوض في مناقشة ودفع هذه الأباطيل نؤكد أن مطلقيها لا يملكون ولا دليلاً مادياً واحداً على ما زعموا ، وإنما كشفوا عن جهل لا يصدر إلاّ من طفل صغير وهذا قد يكون دليلاً كافياً على أن أصحاب هذه التهم لا زالوا يعيشون فترة الطفولة السياسية » ، ولم يتخطوها حتى الى مرحلة « المراهقة اليسارية » !!

١ ـ فبخصوص التهمة الأولى ، وهي المصالح الكبيرة الواسعة ، أو مثل ما أسموها « الإرستقراطية المتخمة التي تغني للعمالة » ، فإن أغلب علماء الدين في البحرين ، هم في وضعهم الإجتماعي والمعيشي والإقتصادي ، لا يختلفون عن وضع الفئات الفقيرة ومحدودة الدخل ومتوسطة الدخل . فأغلبهم كالشيخ عيسى قاسم والجمري والمدني (وهذه نماذج كثر ترديدها لدى أولئك الكتاب) ، بيوتهم عادية جداً توازي الأغلبية الساحقة من بيوت « المسحوقين الشيعة ـ على حسب إصطلاحاتهم ـ بل أن كثيراً من بيوت هؤلاء المواطنين أفضل وأحسن من بيوت أولئك العلماء . ومعيشتهم ومأكلهم وملبسهم لا يختلف عن ذلك أيضاً . بل أن كثيراً منهم لا يملك حتى سيارة خاصة والتي أصبحت عادية جداً حتى لأصحاب الدخل المحدود . فمثلاً الشيخ عيسى قاسم (ذلك الإرستقراطي المتخم الذي يغني للعمالة !!) لا يملك سيارة خاصة مما يضطر بعض الشباب الإسلامي أن يتطوع لإيصال الشيخ من بيته في الدراز الى (مسجد الخواجة في العاصمة) حيث كان يقيم صلاة الجماعة هناك الشهيد العلامة السيد أحمد الغريفي ، ولأن هذا الشيخ (الإرستقراطي) هو أحد أبرز أركان الحركة الإسلامية في البحرين ومصدر قلق وإزعاج كبير للسلطة الإستبدادية ، فإنها ـ أي السلطة ـ تبادر على الفور لإعتقال كل متطوع لتوصيل الشيخ الى بيته أو الى المسجد . . هذا فقط كمثال ، والأغلبية الساحقة من علمائنا لا يختلف حالهم عن ذلك أبداً .

٢ ـ وأما بخصوص التهمة الثانية وهي العمالة والإرتباط بالنظام والقوى الإقليمية فهي أشد من سابقتها قبحاًوعدواناً . فإنه

لا إشكال أن يكون الإنسان (إرستقراطياً) على الأقل في نظر الناس غير الشيوعيين . أما أن يكون عميلاً ، فذلك ما يرفضه كل إنسان شريف . ونحن واثقون من سيرة وطهارة ووطنية علماء ديننا الأفاضل ، وهذا منطق الناس في بلادنا أيضاً . ونحن قد نظن أن التهمة قد وردت على عقول أولئك النفر الذين أطلقوها ، وذلك بسبب أنه في السنوات السابقة وبالذات قبل إنتصار الثورة الإسلامية في إيران ، قد حاولت السلطة الرجعية وسعت لإحتواء علماء الدين ولكنها فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً ، ولجأت الى أسلوب « كسب » بعض العلماء إجتماعياً عبر بعض الزيارات التي يقوم بها بعض رجالات النظام لهم في بيوتهم ، مما يعطي إنطباعاً إجتماعياً لدى الناس وبالذات البسطاء أن هؤلاء العلماء ليسوا على خلاف مع السلطة أن لم يكونوا على وفاق : وتعاون معها . ولكننا واثقوان من سيرة علمائنا وبعدة طرق وأدلة لا مجال للخوض في تفاصيلها الآن ، ولكن سيرة هؤلاء العلماء وغيرهم بعد دخول الحركة الإسلامية معترك المواجهة السياسية مع النظام هو خير دليل وبرهان على ما نقول ، وخير رد على تخرصات الجاهلين والحاقدين .

٣ ـ وأما بخصوص عمالة علماء الدين « بشاه إيران وملك السعودية » فهي أشد وأنكى ، وأبعث على السخرية في نفس من يسمعها تجاه قائلها . إذا أنه إذا كان يمكن تصور قيام علاقة عمالة وإرتباط بين النظام العميل في البلاد وبين بعض علماء الدين ، فكيف يمكن تصور قيام مثل هذه العلاقة مع القوى الإقليمية ؟ ! بل كيف يتصور قيام مثل هذه العلاقة مع نظام الحكم في البحرين ومع شاه إيران ومع ملك السعودية في آن واحد ؟ !! . بل نحن

نستغرب كيف لم يذهب بهم الشطط الى تعميم هذه « العمالة » الى بريطانية وأميركا كأكبر قوى دولية لها مصالح ونفوذ وتواجد في المنطقة !! وذلك شأن ما فعلوا من إتهام علمائنا الماضين مع بلكريف !!

والآن نرى أنفسنا في غنى عن الإستطراد في مناقشة ورد تلك الأباطيل ، وذلك بعد أن ناقشنا قسماً منها فيما مضى ، حيث أنها نفس الأباطيل تتكرر بصور متقاربة ومتشابهة .

ولكن يحسن أخيراً بنا أن نتوقف قليلاً عند مسألة أخيرة وهي إتهامهم وتهجمهم للعناصر الوطنية الإسلامية التي تخلت عن القوى « التقدمية » لتشق طريقها للعمل في صفوف الحركة الإسلامية المجاهدة ، فقالوا عنها :

« والتحق بهم ـ يقصدون بالحركة الإسلامية ـ عدد ممن راهن على الحركات التقدمية فلم يجد النصر حليفاً لها ، وتوهم أن إنتصار الثورة في إيران قد جعل الإنتصار في البحرين قاب قوسين أو أدنى » .

أولاً ، أحب أن أوجه كلمة حب وتقدير للأصدقاء الأعزاء الذين وقفوا للهداية العظيمة وأقول لهم تأسّوا بعلمائنا الكبار وتأسوا بمن كان قبلهم من الرجال الأبرار ، حيث تعرضوا لصنوف عديدة من التهم والأباطيل والأقاويل والضغوطات فلم تزدهم إلا يقيناً وثباتاً وإستقامة على الحق . ولئن أثيرت اليوم بحقكم بعض الأقاويل والأباطيل فهذا خير دليل على مدى إنزعاج « الآخرين » من مواقفكم وأعمالكم .

بالأمس لما كانت هذه العناصر الشريفة تواجه النظام تحت

راية « التقدمية » ، كانوا وطنيين مخلصيين ومضرب مثل . واليوم بعد أن تكونت لديهم قناعات جديدة : فكرياً وسياسياً ونضالياً ، أصبحوا إنتهازيين يبحثون عن النصر « في أي سلة هو » !!

لقد تناسى أصحاب الكتاب المذكور ، أن قسماً من هؤلاء المناضلين ، قد تخلوا عن اليسار في أيام الموجة اليسارية العارمة في بداية السبعينات ، ولم تكن حينها الحركة الإسلامية قد نزلت معترك الصراع السياسي بشكل مسافر بعد ، كما أن القسم الآخر منهم كان له شرف الجهاد تحت الراية الإسلامية بعد إنتصار الثورة الإسلامية في إيران . وكل تلك العملية ، لا تلغي عملية التفاعل الحضاري والفكري ولا تسلب الإنسان أياً كان التقدير العقلي والإختيار الإرادي لموقعه ودوره وشخصيته ومواقفه .

وأنه لموقف يبعث على الرثاء حقاً ، أن يصم المرء الآخرين بالروح الإنتهازية والنفسية الأنانية المصلحية الضيقة !! لا لشيء إلّا لأنهم إختلفوا معه فكراً وممارسة . لقد كبر في نفس أصحاب الكتاب المذكور هذا الأمر كثيراً الى حد جعلهم لا يرون أو يتناسون ، أن من وصموهم بالإنتهازية طلاب « الإنتصار الرخيص الذي يأتي على طبق من ذهب » ، إنهم كانوا في يوم ما معهم ، وبالتالي كان لدى هؤلاء النفر أسرار كثيرة عن الحركة « التقدمية » فلم يبيعوها إلتزاماً بشرف الموقف والكلمة ، ولو كانوا يؤثرون السلامة والمكسب المادي الرخيص لالتحقوا بالنظام العميل شأنهم في ذلك شأن العديد من قيادات وكوادر وعناصر الحركة « التقدمية » الذين سبقوهم الى ذلك الفعل الشنيع . بل أنهم أثروا مواصلة النضال بروحية أشد وإيمان أصلب واندفاعة أقوى وعطاء

أزخر ، وقد إنخرطوا في تلك المسيرة الجهادية المباركة فمنهم من دخل السجن لأكثر من مرة وتعرض لصنوف من التعذيب الرهيب ومنهم من هجر ونفي خارج البلاد ، ولا زالوا صامدين كالجبال الشم إسترخصوا الدنيا بملذاتها في سبيل شرف الوطن وعزة الأمة وكرامة الدنيا والآخرة .

الفصل الخامس

- قصة جريمة إغتيال الشيخ المدني:

لكيْ لا تتكررْ الجريمة مرة آخرى

في هدأة الليل ، وفيما كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ، إنطلقت سيارة يابانية صغيرة حمراء اللون ، يستقلها ثلاثة شبان مغامرين ، قاصدين بيت المرحوم الإستاذ الشيخ عبد الله المدني . طرقوا الباب،خرج لهم الشيخ، عرضوا عليه « بطاقة » وطلبوا منه أن يرافقهم فوراً الى « القلعة » ، وكان إثنان منهم يحملان مسدسات حربية .

طلب منهم المرحوم أن يدخل البيت ويخبر أهله ، إلاّ أنهم رفضوا وأصروا على ركوبه معهم فوراً . وفي بلادنا حيث إعتاد الناس على طرقة رجال المخابرات أبواب المواطنين ليلاً « للإستدعاء والتحقيق » ، لم يرَ الشيخ بداً من الإستجابة والتسليم .

إنطلقت السيارة بإتجاه مركز شرطة « الخميس » قادمة من « جد حفص » ، وعندما وصلت الشارع العام الذي يقع عليه المركز ، إنحرفت السيارة يميناً بإتجاه الغرب . عندها إستغرب الإستاذ المرحوم ذلك الإتجاه وقال لهم إلى أين نحن ذاهبون ،

حيث أن مبنى « القلعة » يقع بإتجاه الشرق .

عندها إنهالا عليه الإثنان اللذان في الخلف حيث كان يتوسطهما ، انهالا عليه ضرباً وشتماً ، وكانت في يد أحدهما حربة بندقية طويلة حادة ، فأخذ يغرزها بشكل وخزات مؤلمة في أنحاء متفرقة من جسم المرحوم . ثم مزقا الثوب الذي يرتديه وقيدا يديه بأسمال ثوبه من الخلف . إنحرفت السيارة يميناً عند منعطف « السهلة » واخترقت النخيل بإتجاه البر الجنوبي لمنطقة « سار » . وفي تلك المنطقة توقفت السيارة وترجل منها صاحب الحربة ، وجر المرحوم الى الأرض وهو مقيد اليدين الى الخلف ، وجثم فوق صدره وانهال عليه بأربع طعنات حادة عميقة مزقت صدره وأحشائه الداخلية بعد أن كتم فاه بيده اللعينة ، وكانت كل طعنة من الطعنات الأربع قاتلة في حد ذاتها .

طوال الطريق الذي لم يستغرق أكثر من نصف ساعة ، جرى إستجواب الاستاذ الشيخ المرحوم عند مواقفه الفكرية والسياسية وعلاقاته السياسية والإجتماعية وعن مدى مسؤوليته عما نشر في مجلة « المواقف » حيث كان رئيس تحريرها .

هذه كانت أحداث الجريمة النكراء بشكل موجز ومختصر ، فكانت أسرع « محاكمة سياسية » في تاريخ البلاد ، حيث جرى نظر الدعوة والحكم والتنفيذ في آن واحد لا يزيد عن نصف ساعة فقط

معلومات عامة حول مرتكبي الجريمة كما جاء ترتيبهم في لائحة الإتهام أمام المحكمة :

١ - إبراهيم مرهون : عمره في حوالي السادسة والعشرين ، متزوج له طفلان ، عامل ، من سكنة قرية أبو صيبع . كان عضواً قاعدياً في تنظيم الجبهة الشعبية ، مسؤوله التنظيمي عبد المنعم الشيراوي الذي كان أحد الخمسة الذين كانوا يشكلون قيادة تنظيم الجبهة المذكورة في البحرين وقتذاك وبعد إن ضُرب هذا التنظيم ضربة قاصمة من قبل المخابرات في البحرين ودبي في آن واحد تقريباً وذلك في أواخر ٧٢ م ، بقي هذا العنصر (إبراهيم مرهون) وعناصر أخرى معدودة ، شاردة سارحة في البلاد بدون رابط وضابط تنظيمي .

ونتيجة للأفكار اليسارية الطفولية المتطرفة » التي كانت تشكل غذاء ذلك التنظيم في تلك الفترة والقائمة على الكفاح المسلح وإسقاط كل أنظمة الخليج وحرق المراحل الثورية » وازدراء « النضالات الإصلاحية والبرلمانية » والإنتقائية في الفكر الشيوعي ، ومحاولة نشر وتطبيق الأفكار الشيوعية حتى بين البدائيين القبليين كما كان قائماً في جبال ظفار ، والإصطدام المباشر والعنيف واليومي مع المجتمع والمؤسسات الدينية ورموزها وبالذات في المناطق الريفية على إمتداد شارع البديع من « جد حفص حتى الدراز»، وهذه المنطقة بالذات كانت ولا زالت أحد أهم معاقل الحركة الإسلامية .

فنتيجة لما سبق ، ونتيجة للتعبئة والتغذية الفكرية اليسارية المتطرفة » والخاطئة وبالذات تجاه الحركة الإسلامية ورموزها ومؤسساتها (كجمعية التوعية الإسلامية في الدراز والشيخ سليمان

المدني أخ المرحوم المغدور والشيخ عيسى قاسم والجمري : وهذه أسماء رأينا في الفصول السابقة أنها لا زالت تتردد في كتابات وبرامج تعبئة هذا اليسار بالذات على أنها إرستقراطية تغني للعمالة . ولها إرتباط مصلحة وعمالة بالنظام وبشاه إيران وملك السعودية » !! ، نتيجة لكل ما سبق ، فقد إنعكس ذلك في فكر وفهم ونفسيه وسلوك أغلب الأعضاء المنضوين تحت راية هذا التنظيم وبالذات أولئك الذين يكون لديهم إستعداد وميل للأعمال الفوضوية والإرهابية خاصة إذا تهيأت لهم الأجواء كانعدام الضبط التنظيمي والرقابة الصارمة والتربية المركزة المضادة والأعمال الثورية النافعة ، فإنه حينئذ يكون طبيعياً جداً أن يقوم مثل هؤلاء العناصر وفي مثل تلك الظروف بأعمال فوضوية وصبيانية طائشة تدمر كل شيء أمامها .

ولقد نقلت إلينا عناصر موثوقة وقتها كانت تعيش مع هذا العنصر (إبراهيم مرهون) في نادي أبو صيبع الكثير من القصص والشواهد والأدلة على نفسية وسلوكية هذا « الفوضوي اليساري المتطرف » ، حيث كان هو مسؤولاً في إدارة النادي المذكور ، فكان يطلق دائماً عبارات التهديد والوعيد أمام عناصر النادي المؤمنين والملتزمين بأنه سيطردهم من النادي وأنه سيأتي اليوم الذي فيه سيقطع رأس كل من ينادي لا إله إلاّ الله في النادي ، وأنه كان هو وجماعة من (الشواذ جنسيا) يعتدون جنسياً على بعض الصبيان في القرية ثم يلتقطون لهم صوراً عارية لإرغامهم بها في كل مرة ، وكانوا يقومون بحرق سيارات المؤمنين المعارضين لهم وكثيراً من هذه القضايا رفعت وسجلت أمام مخافر الشرطة .

٢ ـ محمد طاهر ، عمره في حوالي العشرين عاماً أو أقل ،

أعزب ، من سكنة أبو صيبع ، يعمل جندياً في « قوة دفاع البحرين » . لم يسبق له الإنخراط في العمل التنظيمي والسياسي . وكان صديقاً حميماً وملازماً لإبراهيم مرهون وكان يتخذه مثله الأعلى وقدوته . ومن خلال إبراهيم مرهون تشبع هذا الأخير بالفكر اليساري الفوضوي والممارسات الفوضوية أيضاً . وكانت له نزعة عسكرية طاغية تخفي وراءها ميلاً عدوانياً شرساً ، والتي بسببها التحق بقوة الدفاع مما هيأ له مزيداً من الفرص لتغذية وتركيز هذه الصفات .

هو الذي إستغل بطاقته الجندية الشخصية لإيهام المغدور به المرحوم المدني على أنهم رجال مخابرات ، وكان عنده مسدسان حربيان أحدهما لا يصلح للعمل اطلاقاً ، والآخر وبعد إجراء بعض التصليحات عليه يمكن أن يكون صالحاً للإستعمال ، وقد إستخدما لتهويل وتخويف الضحية . وكانت لديه حربة حربية تابعة لقوة الدفاع ، هو الذي إستخدمها في وخز الشيخ المرحوم طوال الطريق ، وهو الذي جر المرحوم الى الأرض وقتله قتلة شنيعة ، حيث سُجل على جسد الشهيد الطاهر ثماني عشرة طعنة متفرقة منها أربع طعنات أساسية قاتلة في الصدر .

٣ ـ علي فلاح : عمره في الثانية والعشرين تقريباً ، أعزب ، من سكنة قرية الدية ، خريج الثانوية الصناعية . بعد الضربة شبه القاضية التي وجهها قسم المخابرات لتنظيم الجبهة الشعبية في أوائل ٧٣ م رجع الى البلاد بعض العناصر الطلابية التابعين للجبهة المذكورة ، وبدأوا في إعادة بناء ولملمة بعض التشكيلات الصغيرة والمحدودة وبالذات في أماكن سكن تلك العناصر الطلابية . وكان علي فلاح أحد عناصر (اللجان الطلابية)

عندما كان لا زال في المدرسة الصناعية بجد حفص ، وهذه اللجان كانت بداثية الشكل والعمل وكانت خليطاً بين التنظيم الجماهيري الطلابي وبين الحالة التنظمية الجبهوية . ولكن هذا الشكل التنظيمي الهلامي سمح له بتلقي الأفكار « اليسارية » الفوضوية المتطرفة » ، وبالذات تلك التعبئة المضادة للدين ومؤسساته ورموزه . اعتقل علي فلاح لأول مرة في عام ٧٥ م هو والمدعو « عيسى الغائب » لبضعة أيام حيث قدم الإثنان إعترافاً خطياً أمام قاضي التحقيق ، واعترف فيه الشخص الثاني بإنتمائه للجبهة الشعبية (ونتيجة أيضاً للتعبئة المضادة للاسلاميين فقد وقف بإعترافه على مسؤوله التنظيمي السابق الذي - أي مسؤوله السابق - كان قد هجر تنظيمهم وتخلى عن أفكارهم تماماً وتحول للإسلام والعمل له) . ثم أطلق سراح الإثنين علي فلاح وعيسى الغائب، وانطلق الثاني ليواصل دراسته في إحدى الدول الإشتراكية ، وبقي علي فلاح يدور في فلك تلك الجماعة « الفوضوية » كان ذلك الشخص يشتهر بإدمانه على المسكرات وبإنحرافات خلقية معروفة .

في ليلة الجريمة ليلة الجمعة ١٩٧٦/١/١٩م كان المدعو (إبراهيم مرهون) يقضي ليله في السكر والعربدة مع شلة من رفقاء السوء في أحراش قرية (المقشع) ، ثم إستقل سيارة أحد أقاربه وذهب الى (النعيم) منطقة في العاصمة ، ليأخذ لأصحابه وجبة لحم ، هناك إلتقى مع علي فلاح ، وكانت بينهما معرفة سابقة ، فدعى إبراهيم مرهون ، علي فلاح ليكمل معهم السهرة . وهناك في أحراش المقشع طرح عليه الفكرة العامة وهي : الذهاب الى بيت أحد رجال الدين البارزين وبالتحديد الشيخ سليمان المدني ثم

إختطافه وإيذاءه ، فأبدى على فلاح موافقته السريعة ـ وذلك ليس بتأثير الخمرة ، وأن كان لها إحتمال بأحداث نشوة في نفسه ـ وإنما بسبب التعبئة المركزة والشديدة والمستمرة ضد رجال الدين والمؤسسات الدينية التي تلقاها في أجواء ذلك التنظيم وفي تياره الجماهيري .

إبراهيم مرهون هو المسؤول المباشر عن تلك الجريمة النكراء ، حيث كان يغذي محمد طاهر بهذا التوجه ويزين له الأمر ويرسم له الخطط . لذلك فعندما حصلا على موافقة علي فلاح بمشاركتهما (إبراهيم مرهون، محمد طاهر) في الجريمة ، سرعان ما طلب منه المبادرة الى العمل . إستقل الإثنان سيارة الجريمة ، وكان مرهون هو الذي يقود السيارة ، عرجا على محمد طاهر الذي كانت الفكرة متمكنة من نفسه طوال الفترة السابقة ، وذهبوا ثلاثتهم ليقترفوا تلك الجريمة الشنعاء التي اهتزت لها البلاد بأكملها .

كانوا يريدون إيذاء أحد رجال الدين ، وبالتحديد الشيخ سليمان المدني . ولكنهم لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً ، سوى الإشاعات والإتهامات التي كانت تدور صداها بقوة وتركيز في أوساط اليسار واليسار المتطرف خاصة . لذلك فعندما وصلوا الى بيت الشيخ وطرقوا بابه تبين لهم أن الشيخ غير موجود وأنه مسافر لأداء الحج . ما العمل الآن؟! هل يتراجعون عن فكرتهم الشيطانية الرهيبة ؟ ! هل ينتفض ضميرهم ويصحو عقلهم من ذلك الخدر الشديد من جرّاء تلك التربية الفكرية والسياسية المنحرفة ؟ ! كلا وألف كلا . بل أنهم إتخذوا قرارهم سريعاً ودون تردد . لنذهب الى بيت أخيه (أخي الشيخ سليمان المدني) . فذهبوا الى بيت المرحوم الاستاذ الشيخ عبد الله

المدني . لكنهم لم يكونوا يعرفون بيت المرحوم بالضبط (ربما لأنهم تصوروا بحسب التعبئة التي كانوا يتعرضون لها أن بيته عبارة عن قصر فخم لأنه « إرستقراطي ديني متخم يغني طرباً للعمالة » ، ولم يدر بخلدهم أن بيته عبارة عن بناء طيني قديم متواضع ورثه من والده رحمة الله عليه ، و أن كثيراً من بيوت المواطنين ذوي الدخل المحدود أفضل منه بعشرات المرات) . تحيّروا ، ما العمل ، التراجع ، كلا وألف كلا . وما كان منهم إلاّ أن طرقوا أحد البيوت في المنطقة . خرج لهم صاحبه ، وهو الاستاذ عبد الله البناء ، المدرس بمدرسة أبو صبيع الإبتدائية ، سأله محمد طاهر عن بيت الضحية فأشار لهم عليه مطمئناً الى سلامة قصدهم ، حيث أن جيران المرحوم إعتادوا على رؤية المواطنين يتوافدون على بيته في جميع الأوقات ليقضي حوائجهم ما إستطاع الى ذلك سبيلاً ، وبالذات المواطنين من قرى أبو صبيع وما حولها (وهذا ما يفسر لنا الفوز بالأغلبية الشعبية الساحقة للمرحوم في إنتخبات المجلس الوطني في تلك المنطقة في مقابل مرشح اليسار إبراهيم سلمان إبراهيم مكي) .

وتبرز هنا التقديرات الإلهية لتفضح أولئك القتلة السفاحين ، حيث أن الاستاذ عبد الله البناء كان قد درّس محمد طاهر في مدرسة أبو صبيع في دروس (محو الأمية للكبار التي كانت تعطى ليلاً) .

لذلك وعندما إكتشفت الجثة في الليلة الثانية للجريمة إستطاع رجال الأمن أن يتواصلوا الى المجرمين وذلك عبر شهادة الاستاذ البناء ، وذلك في سرعة قياسية . وعندما تم القبض على محمد طاهر واقتيد الى مبنى التحقيقات الجنائية تُرك في مكتب أحد

الضباط في الطابق الثاني وكان يحرسه أحد مساعدي الضابط، وفيها أفراد الأمن في إستنفار وإرتباك ، حيث أن البلاد لأول مرة تشهد جريمة ذات صبغة سياسية بهذه الوحشية والبشاعة ، إستغفل محمد طاهر الحارس وكانت النافذة مفتوحة وأمامها طاولة الضابط ، وقفز قفزة عسكرية قوية تخطى فيها الطاولة والنافذة معاً وكان تقديره أنه سيسقط على الأرضية الداخلية للقلعة ومن ثم يفلت ، إلا أنه فوجىء بوجود كراج لموقف السيارات تحت ، فسقط عليه ثم على الأرض مما تسبب في كسر أحد ساقيه ، لذلك شوهد في أثناء المحاكمة وهو يقاد إليها على كرسي متحرك . هذه هي الجريمة النكراء بحدودها وأحداثها الواقعية .

ولكن السؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا ، هو كيف أُضيفت أسماء جديدة وتهم جديدة في القضية ؟؟ في الواقع طابع الجريمة السياسي كان طاغياً وبارزاً لكل أحد . فمسألة التصادم الفكري والنفسي والإجتماعي والتنظيمي بين « الحركة اليسارية » وعموم الإسلاميين الملتزمين وبالذات في تلك المنطقة المهمة الممتدة بين جد حفص والدراز كان واضحاً وملموساً لجميع الناس والمراقبين .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، إعتراف المجرمين الثلاثة الذين إقترفوا تلك الجريمة النكراء « بالمحاكمة السياسية » السريعة - إن صح التعبير ، التي أجروها للشهيد قبل قتلهم له ، عزز الطابع السياسي للجريمة ، والذي كان منتشراً حتى بين القوى اليسارية نفسها ، حيث ورد في كتابهم المذكور :

« وكان لموقفهم البطولي - يقصد المتهمين والمعتقلين في

القضيـة من خارج حـدودها ـ أبلغ الأثـر في تكنيس الشكـوك التي أنتشـرت وسط المنـاضلين من التنـظيمـات الأخـرى ، بـل ومن المنـاضلين في صفوف الجبهـة ، من أن هنـاك إتجـاهـاً يـرى في الأعمـال الطائشـة الأرهابيـة وسيلة لتصفية واسكات الخصـوم » .

ص ١٧١ لذلك بادرات المخابرات بإعتقـال والتحقيق مع عـدد من الأفراد الذين يتصدرون مواقع قيادية في الجبهة المـذكورة ، وكـان أحدهم من منطقة علي فلاح ، وهو المدعو أحمد مكي الذي كان يتسلم مسؤولية أعضاء الجبهة في تلك المنـطقة ، ولمـا لم يكن له علم بالقضية ، ولم يكن بمقدوره تحمل التعـذيب الوحشي الـذي تعـرض لـه ، أحـال الثقـل على أحـد خصـومهم الإسـلاميـن في المنطقة ، وأدعى بـأن ذلك الشخص الإسـلامي هو المسؤول وأنه رأى في منـزله « العـديد من المتفجـرات والقنـابـل والأسلحـة » ، وتلك تهمة كفيلة ـ وبالذات في تلك الظروف الحرجة التي كـانت تمر بها البلاد ـ أن تهز جهاز المخابرات وتستنفره ، وهـذا فعلاً مـا حصل .

ولاحظ هنـا أيضـاً التصـادم والتعبئـة المضـادة لـلإسـلام والإسلاميين. فهذا الشخص ـ أحمد مكي ـ حينما لم يكن بمقدوره تحمـل التحقيق والتعذيب ، لم يعتـرف بحدود مسؤوليته وأعمـاله وجماعته وإنمـا ألقى بالتهمـة علـى أحـد ، الإسـلاميين النشطين في منطقته . جن جنون المخابرات وقتها ، جريمة قتل ذات صبغـة سياسية لأول مـرة في البلاد ، وتهمـة أسلحة ومتفجـرات في تلك الـظروف الحـرجـة ، جعلت المخـابرات تتمـادى في التحقيق والتعذيب الوحشي بحثاً عن تلك الأسلحة المزعومـة . وعندمـا لم تحصل على تلك الأسلحة لأنهـا أصلاً لا وجود لها ، وعندمارأت

أحد المتهمين الرئيسيين في قضية تلك الأسلحة يترنح في خطواته الأخيرة نحو الموت ، وهو محمد غلوم بو جيري ؛ حيث كان يهدد الضابط الأردني الرائد محمود حجازي المتخصص في الجودو والكراتية بقية المتهمين بمصير هذا المتهم البريء ويقول إنظروا أنه يتقيأ دماً غليظاً، ولو أرادت المخابرات وقتها أن تنقذ حياته لربما أمكنها ذلك إذ أن حالة القيء تلك كانت في ليلة الأحد بينما بوجيري لاقى حتفه يوم الخميس من نفس الاسبوع انظروا من أراد منكم أن يموت بهذه الطريقة فأنا أنقله الأن وفوراً) . وهكذا وجدت المخابرات نفسها أمام هذه الحالة لم تحصل على تلك الأسلحة المزعومة والأجواء العامة في البلاد كلها ضد تنظيم الجبهة الشعبية خصوصاً واليسار عامة جرّاء الجريمة النكراء ، وأحد الابرياء من جماعة ذلك التنظيم يترنح نحو الموت ، وبقية زملائه في حالة خطرة ، لذلك بدا أن المخابرات إتخذت قراراً بربط هؤلاء الجماعة بالمجرمين الثلاثة لتحقيق أهداف عديدة منها التخلص من تهمة قتل بريء تحت التعذيب ـ خاصة وأنه أول فرد يلاقي ذلك المصير في تاريخنا المعاصر ـ وجعله الحلقة المفقودة للقضية كلها وذلك بموته ولذلك لم يسعف أبداً وترك يسير نحو مصيره . ثم تلك أفضل فرصة لمواجهة قوى اليسار من قبل الحكومة حيث ستتحول حيئنذ الى مواجهة حكومية وشعبية ضد اليسار .

ونحن نرى أن الجريمة لم يكن يقف وراءها تنظيم الجبهة الشعبية بالمعني الذي حاولت أن تصوره أجهزة المخابرات البريطانية من أن هناك أوامر تنظمية وخطة مدروسة لتصفية علماء الدين من قبل قيادة ذلك التنظيم كما إننا أيضاً نرى أن الجريمة

البشعة لم تكن نتيجة تدبير المخابرات وهندرسون لضرب المعارضة « التقدمية » بالحركة الدينية ، وذلك كما تحاول دائماً أن تطرح الجبهة الشعبية : (إنظر الكتاب المذكور في الصفحات : ٤٢ ، ٦٧ ، ١٦٥ وما بعدها) ولكننا متأكيدون بشكل مطلق من أن التربية والتعبئة الفكرية والسياسية والنفسية التي سارت عليها قيادة وأجهزة وكوادر الجبهة الشعبية أدت بشكل مباشر الى ارتكاب أولئك السفاحين المنحرفين بجريمتهم السوداء . ولذلك فإننا عندما توقفنا مطولاً أمام إتهامات هذا التنظيم للحركة الاسلامية بفصائلها ورموزها ومؤسساتها ، كان دافعنا الأساسي أن نحذر أولئك النفر الذين لا زالوا يصرّون على مواصلة هذا النهج المنحرف والخاطىء في التعاطي مع الحركة الإسلامية ، أن نحذرهم من التمادي في هذا النهج اللاوطني والذي يصب في نهاية المطاف في مصلحة السلطة الإستبدادية العملية الطائفية ويؤدي الى حرف النضال الوطني وجرّه الى صراعات جانبية ويشق لحمة الصف الوطني والشعبي . لقد أكدوا في مقدمة كتابهم المذكور ص ٢١ ـ ٢٢ ، أن هذه الموضوعات (موضوعات ذلك الكتاب) قد سبق طرحها في نشرتهم الرسمية (٥ مارس) طوال العقد المنصرم وأنهم الآن قد أعادوا قراءتها وقاموا بتصحيح بعض الأفكار التي كتبت على عجل على حد تعبيرهم .

وعندما طرحوا موضوعاً رئيسياً حول الطائفية في نشرتهم السابقة الذكر ، عدد مارس ٨٥ م ، آثرنا عدم الرد والتزمنا بالصمت الإيجابي ، وحذرناهم من تلك الأخطاء ومن مغبة التمادي فيها ، وذلك حرصاً على المصلحة الوطنية العليا .

ولكنا فوجئنا بإعادة طبع تلك الأفكار وترويجها بشكل واسع

ومستفز وبالتالي فهي لم « تكتب على عجل » ، مما إضطرنا للرد على تلك التخرصات والإتهامات وقلنا أنه ليس لمناقشة تلك الإتهامات والأباطيل أهمية في حد ذاتها ـ وأن كان من السهل جداً الرد عليها ـ لأنها لا تقوم على أي أساس أو برهان مادي وحقيقي ، وإنما آثرنا الرد لأنه يبدو أن ذلك النهج الخاطىء لا زال يتردد صداه عند أصحابه الأولين وبالتالي لا بد من تعريته وتصحيحه .

ـ خاتمة ـ

في الختام لنا بعض الملاحظات السريعة أحببنا أن نوجزها في النقاط التالية :

١ ـ حول عنوان كتابهم المذكور : (مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية) . هذا العنوان بهذا الأسم يستبطن فكرة تجد طريقها تلقائياً لدى كل قارىء وهي أن حواراً سابقاً وقد يكون واسعاً ، جارٍ وسابق على كتابهم ذلك ، بين أطراف المعارضة الوطنية والإسلامية . خاصة أن « مساهمتهم » هذه قد جاءت في شكل كتاب . والواقع أن مثل ذلك الحوار لم يكن موجوداً بهذا الشكل ، وقد يكون ما هو موجود لا يزيد عن كونه مجرد « دردشات » خفيفة بين بعض الأفراد الذين تربطهم علاقة صداقة في ظل أطراف المعارضة المختلفة .

بل ولأكثر من ذلك أن جميع الأفكار التي وردت في كتابهم المذكور ، كانت قد نشرت في نشرة (٥ مارس) خلال عقد كامل تقريباً ، ومع ذلك فالحركة الإسلامية بمختلف فصائلها التزمت الإبتعاد عن الدخول في مهاترات ـ وليست حوارات بناءة ـ خاصة

حينما رأينا من خلال إستعراضنا لأهم أفكار ذلك الكتاب ، أنها مجرد إتهامات وإفتراءات وأفكار سطحية باطلة لا يؤيدها شيء من العقل والعلم والواقع .

ونحن أحببنا أن نوضح هذه الملاحظة لكي يكون مفهوماً ، إننا إضطررنا للرد على تلك المحاولات لجرنا لفتح « حوارات » ساخنة وحارة ، وذلك لكي نقطع الطريق على مثل هذه المحاولات المليئة بالتهم والأباطيل ولأراجيف .

وإن من يريد أن يفتح حواراً بناءً عليه أن يتطلع دائماً للحقيقة ويتوخى الدقة والموضوعة ويترفع فوق سفاسف الأمور والاتهامات الرخيصة . عندها يمكن أن تكون « مساهمته » أو حتى محاولته الأولى لفتح حوارات مثمرة إيجابية بين أطراف المعارضة ، مقبولة ومباركة وتقابل بالتأييد والدعم والمشاركة .

٢ ـ الملاحظة الثانية هي أنهم قدموا كتابهم المذكور على أنه طباعة (دار حوار للطباعة والنشر) ، ونحن نعتقد أن تسمية تلك « الدار » بهذا الأسم فيه خطأ سياسي فاضح : حيث أنه يرمز الى أن تلك الجهة صاحبة « الدار » المذكورة ، تتشبث بموقف آل خليفة في نزاعهم العشائري التاريخي مع عشيرة آل ثاني » حول جزر حوار ، ذلك النزاع الذي تفجر مؤخراً في إبريل / نيسان ١٩٨٦ م في شكل صراع مسلح ، حاول فيه كل طرف عشائري رجعي أن يزج بالجماهير الشعبية ـ التي ليست لها أية مصلحة مطلقاً في مثل تلك الصرعات ـ في أتون ذلك الصراع . وبالتالي فإن استخدام تلك «التسمية» وتكريسها من قبل طرف وطني ، يصب في نهاية المطاف، في طاحونة النظام العشائري الرجعي ، وذلك بوعي أو بدون وعي .

٣ ـ الملاحظة الثالثة تتعلق بالتقديم الجميل ، الذي قدموا به كتابهم المذكور وهو : (من أجل تعميق القواسم المشتركة في النضال ضد العدو المشترك) .

ومن يفتح ذلك الكتاب ويقرأ هذا التقديم ، يتكون لديه إنطباع طيب مؤداه أن أصحاب ذلك الكتاب ، أو أصحاب تلك « المساهمة » في محاورتهم للحركة الإسلامية ، حريصون جداً بشأن تقريب المواقف وتأليف القلوب وتعميق القواسم المشتركة بين فصائل العمل الوطني المختلفة ، وانه أقل ما يمكن أن يتوقعه القارىء من أسلوب الكتاب انه سيكون أسلوباً مهذباً موضوعياً ذو كياسة ولباقة سياسية عالية .

ونعتقد أن ذلك الإنطباع الطيب سينقلب الى ضده تماماً حينما يتعمق القارىء قليلاً مع كتابهم المذكور ، حيث أنه سيصطدم بمنطق التهم والإفتراءات والتسقيط لجميع فصائل ومؤسسات ورموز الحركة الإسلامية ، كما رأينا من خلال إستعراضنا سابقاً لأهم فقرات وأفكار كتابهم ذاك .

٤ ـ الملاحظة الأخيرة لنا حول « الاهداء » الذي في كتابهم كما يلي : (الى كل من يقر بحق الرأي الأخر في التعبير ، نهدي هذا الكراس) .

إن هذا الاهداء ذو مضامين ودلالات عديدة لعل أهمها ، أن أصحاب ذلك الكتاب هم ممن يؤمن بالديمقراطية وبحرية الرأي والتعبير لجميع الأطراف المختلفة . بل ولأكثر من ذلك أن آراءهم وأفكارهم حول قضايا العمل الوطني وقضايا الحركة الإسلامية البحرانية تتعرض للمصادرة والقمع الفكري وأن هناك

من يمارس إرهاباً فكرياً ضد . مساهماتهم ومحاوراتهم في هذه القضايا ، وبالتالي فهم يتقدمون بإهداء كتابهم ذاك الى من يقر بحق الرأي الآخر - رأيهم « المصادر والمحجور » - في التعبير » .

ونحن نتساءل: مَنْ مِنْ أطراف المعارضة المختلفة مارس إرهاباً فكرياً ضد هذا التجمع وضد آراءهم في التعبير ؟ !!

ألا يكفى أنه منذ ظهور التنظيمات الشيوعية واليسارية في بلادنا المسلمة وهي قد دخلت في حالة تصادم مع المؤمنين ومعتقداتهم وآرائهم بشكل إستفزازي وصبياني أكثر الأحيان حتى لو تم تبرير ذلك تحت غطاء أن تلك التنظيمات كانت تعيش مرحلة الطفولة السياسية وذلك ما اعترفوا به في كتابهم المذكور (مساهمة في الحوار . . .) حيث جاء فيه : « ولا شك أن لكل مرحلة طفولتها ، كما لكل حركة سياسية طفولتها ، وقد شاب تصرفات القوميين والشيوعيين والتقدميين بشكل عام الكثير من السلبيات في الممارسة التي استثمرها الرجعيون لعزل الجماهير عن الحركة التقدمية » ص١٩٤ .

ألا يكفي أنه نتيجة للآراء الخاطئة وبرامج التعبئة الفكرية والسياسية المنحرفة أن أدت الى إرتكاب أبشع جريمة في تاريخ البلاد المعاصر بحق أحد علماء الدين ، وهو الشهيد المرحوم المدني ، على يد ثلاثة من تيار ذلك التنظيم !!

ألا يكفي أن مقالات وأفكار ذلك الكتاب (مساهمة في الحوار حول الحركة الدينية) قد تم نشرها في جريدتهم المركزية (٥ مارس) طيلة سنوات العقد المنصرم ، وبالرغم من الإتهامات والأباطيل والتزييف والتسقيط الذي إستعرضنا قسماً منه فيما

سبق ، بالرغم من كل ذلك ، ورغم إستمرار هذا الطرح وهذا النهج طيلة السنوات السابقة ، إلاّ أن الحركة الإسلامية بمختلف فصائلها ورموزها ، أثرت الصمت والإبتعاد وعن هذا المستنقع القذر ، حرصاً منها على عدم جر قوى المعارضة الى صراعات ومتاهات جانبية تزيد في عمق الجراح وتطيل في عذابات الجماهير المضطهدة وتعطي النظام الإستبدادي قوة ومكنة متزايدين .

إن مجرد تجميع تلك المقالات والدراسات التي نشرت في ٥ مارس طيلة سنوات العقد المنصرم وإعادة طبعها وتوزيعها في كتاب جديد ، بالرغم من النصائح والتوجيهات المخلصة والكثيرة من قبل بعض كوادر الحركة الاسلامية ، لأصحاب ذلك الكتاب المذكور ، لعدم الاستمرار في هذا التوجه وهذا الطرح ، الذي أقل ما يقال عنه أنه طرح غير حكيم وغير موضوعي وتوجه خاطىء يضر بالعمل الوطني بمجمله كما بالحالة الجماهيرية العامة ، إن إعادة طبع وتأكيد تلك الأفكار الخاطئة في كتاب جديد ، إن ذلك العمل الخاطىء ، لا يمكن أن يغفر له ذلك التقديم الجميل (من أجل تعميق القواسم المشتركة في النضال ضد العدو المشترك) الذي قُدم به كتابهم المذكور ، كما لا يمكن أن يزينه ذلك الإهداء المتظلم » (الى كل من يقر بحق الرأي الآخر في التعبير) .

الفهرس